Orient. Seminar
UNIVERSITÄT
78 Freiburg/Br.
Inv.
Az 14/8

٧
المقتطف

الجزء السابع من المجلد الحادي والثلاثين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٠٦ — الموافق ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٢٤

خروج بني اسرائيل وعددهم

حينما كانت مسألة سيناء شاغلة بال رجال السياسة كان رجال العلم يشتغلون بمطالعة كتاب نفيس وضعهُ الاستاذ فلندرس بتري واصفاً فيهِ ما رآهُ في بريَّة سيناء من الآثار المصرية . والكتاب كبير كثير الصور وسيأْتي الكلام عليهِ في باب التقاريظ

ولم يستطع الاستاذ بتري ان يبحث في آثار بريَّة سيناء من غير ان يلتفت الى علاقتها بخروج بني اسرائيل من مصر وتيههم فيها السنين الطوال وما يلقاهُ الباحث في سبيل ذلك من العقبات التي يتعذَّر تذليلها ولاسيما اذا كان سفر الخروج خالياً من كل خطإٍ وكان عدد الرجال من بني اسرائيل ستمائة الف محارب كما هو مذكور فيهِ لان ذلك يقتضي ان يكون عددهم كلهم نحو ثلاثة ملايين من النفوس عدا مَن تبعهم من اللفيف وعدا مواشيهم الكثيرة. والمفهوم من التوراة ان هؤُلاء الثلاثة الملايين من بني اسرائيل كانوا ساكنين في جزء صغير من الوجه البحري مع ان سكان الوجه البحري كلهم لم يكونوا حينئذٍ ثلاثة ملايين نفس . وبنو اسرائيل اصحاب مواشٍ كما لا يخفى واصحاب المواشي يحتاجون من الارض لرعاية مواشيهم اكثر مما يحتاج اليهِ اهل الزراعة لزراعتهم. وزد على ذلك ان ليس في الآثار المصرية اقل اشارة الى خروج هذا العدد العديد من القطر المصري مع ان الكتَّاب المصريين كانوا لا يتركون شاردة ولا واردة ومع ان الآثار المصرية ناطقة ان بني اسرائيل كانوا في فلسطين في الوقت المقول فيهِ انهم كانوا في مصر . وبرية سيناء لا تسع الملايين ولا عشرات الالوف من النفوس لان ليس فيها ماءٌ يرويهم او يروي مواشيهم

وهذه المشاكل ازاحها الاستاذ بتري بحل بسيط كما سيجيء وهاك ما اوردهُ في هذا الصدد ملخَّصاً

جاء في التوراة ان بني اسرائيل كانوا نازلين في بلاد جاسان والمرجَّح عند العلماء الباحثين ان بلاد جاسان هذه هي الطرف الغربي من وادي الطميلات حيث يبتدئ تفرعهُ من الدلتا . وكان المصريون يسخرونهم في بناء الحصون في وادي الطميلات في فيثون ورعمسيس ومن مدينة رعمسيس شرعوا في الارتحال من مصر وساروا منها الى سكوت وهي ثوكو المصرية قرب المكان المعروف الآن بتل المسخوطة ثم نزلوا في ايثام عند الطرف الشرقي من وادي الطميلات . ثم أُمروا ان يرجعوا و ينزلوا امام فم الحيروث بين مجدل والبحر الاحمر امام بعل صفون . اي انهم ارتدُّوا جنوبًا لكي يسهل عليهم عبور البحر الاحمر حيث يكون ماؤُهُ رقارق بين البحيرات المرَّة وبحيرة التمساح والارض جافَّة هناك الآن ولكن كان الماء يغطيها حينئذٍ فمن هناك عبر بنو اسرائيل الى برية شور على الجانب الشرقي من البحر الاحمر . وساروا مسيرة ثلاثة ايام من غير ان يجدوا ماء . والبلاد التي ينطبق عليها هذا الوصف هي من السويس الى وادي غرندل . وصادفوا ماء مرًّا في الطريق وهذا ينطبق على الماء الذي في وادي هوارى على ساعتين من وادي غرندل ومن ثمَّ الى جبل الطور

وتدلُّ الدلائل الطبيعية والصناعية على ان اقليم تلك البلاد لم يتغيَّر منذ خمسة آلاف سنة الى الآن وان تغيَّر فيكون بان ماءهُ صار اغزر مما كان قبلاً لان النقوش المصرية المنقوشة على الصخور الرملية لم تطمس مع طول الزمن ولو كانت الامطار تقع عليها لفتتتها وطمستها . وهناك بئر قديمة منقورة في صخر الغرانيت على ميلين من مناجم سيناء ولا يحتمل ان احدًا نقرها غير المصريين الاقدمين حينما كانوا يستخرجون المعادن من تلك المناجم . والماء المتحلب من بقايا الامطار قريب الآن من المناجم ويمكن الوصول اليهِ بسهولة فلو كان موجودًا حينئذٍ لاستغنوا بهِ عن حفر تلك البئر . واذا كان الاقليم حينئذٍ كما هو الآن والمطر كما هو الآن او اقل فعدد السكان لم يكن حينئذٍ اكثر مما هو الآن . ويقدَّر عدد السكان الآن في بريَّة سيناء بنحو ستة آلاف نفس ولذلك لم يكن عددهم اكثر من ذلك عند خروج بني اسرائيل من مصر . وقد حارب العمالقة سكان بريَّة سيناء بني اسرائيل فكانت الحرب سجالاً وهذا يدل على ان عدد بني اسرائيل كان مقاربًا لعدد العمالقة

وزد على ذلك ان بلاد جاسان التي كانوا نازلين فيها لما كانوا في القطر المصري لا تزيد على جزء من مئة جزء من الوجه البحري كلهِ فلم يكن فيها اكثر من عشرين الف نفس اذا كانوا يعيشون من الزراعة واما اذا كانوا يعيشون من رعاية المواشي كما كان بنو اسرائيل فيجب ان يكون عددهم اقل جدًّا حتى تسعهم الارض و يعيشوا من رعاية مواشيهم فيها وعليهِ

فلم تكن ارض جاسان تسع الآنَ نحو خمسة آلاف نفس منهم

وقد عُدَّ بنو اسرائيل حسب اسباطهم وقبائلهم مرتين وذكر عددهم مرة في الاصحاح الاول من سفر العدد ومرة في الاصحاح السادس والعشرين منهُ وكان عددهم بحسب التعدادين هكذا

	عدد ص ١	عدد ص ٢٦
رأوبين	٤٦٥٠٠	٤٣٧٣٠
شمعون	٥٩٣٠٠	٢٢٢٠٠
جاد	٤٥٦٥٠	٤٠٥٠٠
يهوذا	٧٤٦٠٠	٧٦٥٠٠
يساكر	٥٤٤٠٠	٦٤٣٠٠
زبلون	٥٧٤٠٠	٦٠٥٠٠
افرايم	٤٠٥٠٠	م ٥٢٧٠٠
منسى	٣٢٢٠٠	اف ٣٢٥٠٠
بنيامين	٣٥٤٠٠	٤٥٦٠٠
دان	٦٢٧٠٠	٦٤٤٠٠
اشير	٤١٥٠٠	٥٣٤٠٠
نفتالي	٥٣٤٠٠	٤٥٤٠٠

وقد بحث الاستاذ بتري في التعدادين معاً اما نحن فنقتصر على التعداد الاول لانهُ كافٍ لاظهار المراد فانك ترى فيهِ في تعداد كل سبط عدداً من المئات من مئتين فصاعداً الى ٧٠٠ ولا يخلو تعداد سبط من المئات ولا يوجد في تعداد سبط منها مئة واحدة مع الالوف ولا ثماني مئة ولا تسع مئة واكثر ما فيها ٤٠٠ و ٥٠٠ فالاربع مئة واردة ٤ مرات والخمس مئة ثلاث مرات والستماية مرتين والمئتان مرة والثلثمائة مرة والسبع مائة مرة

ولكلمة الاف العبرانية معنى آخر غير الالف وهو البيت او العائلة او الخيمة فقوله "كان المعدودون منهم لسبط رأوبين ستة واربعين الفاً وخمس مئة" على ما في الاصحاح الاول من سفر العدد يصح ان يقرأ ايضاً ستة واربعين بيتاً فيها خمس مئة نفس فيصير التعداد الاول المتقدم هكذا

						متوسط عدد النفوس في البيت
رأوبين	٦٦	بيتاً	فيها	٥٠٠	نفس	٩
شمعون	٥٩	"	"	٣٠٠	نفس	٥
جاد	٤٦	"	"	٦٥٠	نفساً	١٤
يهوذا	٧٤	"	"	٦٠٠	نفس	٨
يساكر	٥٤	"	"	٤٠٠	"	٧
زبلون	٥٧	"	"	٤٠٠	"	٧
افرايم	٤٠	"	"	٥٠٠	"	٨
منسى	٣٢	"	"	٢٠٠	"	٦
بنيامين	٣٥	"	"	٤٠٠	"	١١
دان	٦٢	"	"	٧٠٠	"	١١
اشير	٤١	"	"	٥٠٠	"	١٢
نفتالي	٥٣	"	"	٤٠٠	"	٨
	٥٩٨			٥٥٥٠		

فاضعف الاسباط وافقرها كان متوسط عدد النفوس في بيوتهِ ٥ او ستة اي رجل وزوجتهُ وثلاثة اولاد او اربعة. واقواها واغناها كان المتوسط في بيوتهِ ١٤ او اقل قليلاً اي رجل وزوجتهُ وخمسة اولاد او ستة ورعاة وخدم من اللفيف الذي خرج معهم . وقد يكون بعض الاولاد متزوجًا ولهُ اولاد ايضاً . فيكون عدد البيوت لكل بني اسرائيل نحو ٦٠٠ بيت

والظاهر ان الاستاذ بتري يرى ان اول كاتب كتب عن خروج بني اسرائيل مصر كتب انهم كانوا ستماية بيت ثم ان جامع التوراة اخطأ في فهم معنى البيوت ففهم منها الالوف وقال ستماية الف ثم اضاف الى ذلك من الاضافات ما ينطبق على المعنى الذي فهمهُ

واذا صحَّ هذا التفسير زالت كل المصاعب التي تكتنف مسألة خروج بني اسرائيل من مصر فتصير ارض جاسان كافية لهم ولو كانوا اهل مواشٍ ويصير الارتحال بهم في برية سيناء من الممكنات وتصير الحروب بينهم وبين العمالقة كما بين خصمين متكافئين قوة من المحتملات ايضاً وبمثل ذلك تفسر امور كثيرة واردة في تاريخ اليهود

اما التعداد الذي صار في ايام داود وظهر منهُ ان عدد الرجال الخارجين للحرب في اسرائيل كان ٨٠٠٠٠٠ وفي يهوذا ٥٠٠٠٠٠ فاوَّلهُ الاستاذ بتري بان العدد المذكور

هنا هو عدد النفوس وحينئذٍ يكون عدد بني اسرائيل ويهوذا مليونًا و ٣٠٠ الف نفس فعدد السكان في الميل المربع ١٣٠ نفسًا . والارض جبلية لا تحتمل اكثر من ذلك كثيرًا كما ان عدد السكان في سويسرا ٢٠٠ نفس للميل المربع . وعدد السكان الآن في فلسطين نحو ٦٥ نفسًا في الميل المربع اي نصف ما كان في زمن داود

اما تغلُّب بني اسرائيل على فلسطين وعددهم قليل ففسرهُ الاستاذ بتري بضعف البلاد واهلها من غزوة ملك مصر لها

ثم لخص بحثهُ الطويل بقولهِ : —

لو كتب احد ادباء المصريين الاولين تاريخ بني اسرائيل لقال هكذا : —

" ارتحلت قبيلة من قبائل العرب من العراق الى جنوبي فلسطين واتصلت هناك بقبائل اخرى من الموآبيين والعمونيين . ثم حدثت مجاعة شديدة في بلاد الشام فارتحل بعض هذه القبيلة الى مصر ونزلوا عند الحد الشرقي من الوجه البحري فاستخدمهم رعمسيس الثاني في بناء بعض المباني ثم بلغهم ان مرنبتاح غزا فلسطين واوقع باخوتهم الذين فيها فقلقوا لذلك وزاد قلقهم بان اتاهم واحد من ابنائهم كان قد ربي عندنا ودرس في مدارسنا ثم هرب واقام في برية سيناء فهذا جاءهم وحثهم على الخروج من بلادنا حاسبًا انهُ رأى في سيناء ارضًا تكفيهم وحاول اولاً ان يستأذن لهم في الذهاب لاجل الزيارة فرُفض طلبهُ وساءت الاحوال بالجدب والوباء واضطربت الافكار فهرب بضعة الوف منهم وقطعوا البحر الاحمر في مكان رقيق الماء ولجأُوا الى القفر وارسلنا وراءهم شرذمة من جنودنا فلم نستطع ردهم وظلوا في القفر سنين كثيرة ونحن لا نستطيع ان نصل اليهم بمكروه الى ان دوَّخ ملكنا رعمسيس الثالث بلاد فلسطين واثخن في الاموريين وغيرهم من شعوبها واضعفهم فارتحل بنو اسرائيل من القفر ودخلوا بلاد فلسطين واستولوا على كثير من مدنها وكثر عددهم كثيرًا وانضمَّ اليهم كثيرون من اهالي البلاد وامتزجوا بهم فصار عددهم بعد مئتي سنة نحو نصف عدد السكان في الوجه البحري . ولما زال الانشقاق من بيننا وعدنا الى الاتفاق غزونا فلسطين وغنمنا منها كثيرًا من الذهب ثم جاء الاشوريون وقاموا في وجهنا وازالوا سلطتنا من تلك البلاد "

هذا رأي الاستاذ بتري في هذه المسألة التي هي من اعوص المسائل المتعلقة بخروج بني اسرائيل من مصر . وسنرى كيف ينظر اليهِ علماء التفسير من اهل الاديان . والمرجح عندنا ان اكثرهم يرفضهُ ويسفههُ على عادتهم في رفض كل رأي جديد ثم لا يبعد ان يعودوا اليهِ بعد حين ويؤيدوهُ

سبب البراكين

البراكين والزلازل اعظم الحوادث الطبيعية وارهبها . وقد بحث الناس عن اسبابها من قديم الزمان فقرُب تعليلهم لها من الحقيقة او بعُد عنها حسب معارفهم لنواميس الطبيعة . وظهر الآن تعليلان جديدان الواحد للبراكين وفيهِ كلامنا الآن والثاني للزلازل وسيأْتي الكلام عليهِ في مقالة اخرى في هذا الجزء

اما تعليل البراكين هذا فواضعهُ الماجور دتون الاميركي وقد نشرهُ حديثًا في مجلة العلم العام الاميركية ومفادهُ ان قرب سطح الارض عناصر من نوع الراديوم تشعُّ حرارة كافية لتبخير الماء واذابة المعادن فتنفجر من الارض وتسبب البراكين وهاك خلاصة المقالة التي كتبها في هذا الموضوع

ان ثوران البراكين من اشهر الظواهر الطبيعية واعظمها وقعًا في النفس ومع شهرتها وعظم وقعها لا يزال سببها الحقيقي [illegible]هاء وكلُّ ما قيل فيهِ آراءٌ لم تؤَيدها الادلة الراهنة . وعلة ذلك اننا نرى فعل البركان على وجه الارض فقط ولكن مصدرهُ في بطن الارض وهو بعيد عن المشاهدة والمراقبة

على انهُ وان يكن ذلك كذلك فان عندنا استدلالات في هذا الباب تقرب من الحقائق المثبتة . واني ذاكرها قصد الالمام بالحلّ الذي تشير اليهِ وهو حلٌّ اظنهُ شافيًا وافيًا بالمرام ان لم اكن مخطئًا في ظني

(١) جمود الارض . وهو حقيقة معلومة فلا اطيل الكلام عليها وانما اذكرها لجمعها مع الحقائق الأُخر في نظام واحد

(٢) قلة المواد التي يقذفها البركان في كل ثورة يثورها بالنسبة الى الجبل الذي هو منهُ او بالنسبة الى البلاد التي حولهُ . ولسنا نعلم حجم ما تقذفهُ البراكين بالتدقيق وانما نعلم ان حجم اكبر ما قذفهُ بركان في مرة واحدة لا يزيد على ميلين مكعبين وان يكن بعضهم بالغ في التقدير فجعلهُ ثلاثة اميال الى ستة اميال مكعبة . ومهما يكن من ذلك فهو لا يذكر في جنب حجم البركان والبلاد المجاورة لهُ

(٣) تعدُّد الثورات فان البراكين قلما تثور مرة واحدة بل الغالب ان تتعدد ثوراتها حتى قد تبلغ الالوف عدًّا . وسيأْتي ذكر السبب في ذلك

(٤) ان احواض البراكين قريبة من سطح الارض لا يزيد عمقها على ثلاثة اميال

وهذا الامر لم يثبت بالبرهان القاطع ولكن تؤَيدهُ دلائل قوية . بل انك لا تكاد تجد ما يشير الى ان عمق تلك الاحواض يزيد على ميلين ونصف وكثير منها لا يبلغ عمقهُ ميلاً . والدلائل تدلُّ على ان معظم احواض البراكين على عمق ميل الى ميلين ونصف. يؤَيد ذلك الزلازل التي ترافق ثوران البراكين على الدوام تقريباً حتى يقال ان العلاقة بينهما علاقة العلة والمعلول فان حركاتها تدلُّ على ان مصدرها قريب من سطح الارض

ولنبحث الآن في ما يرجَّح انهُ سبب ثوران البراكين فاقول : —

ارى ان سبب ثوران البراكين تولّد الحرارة الناشئة من الراديوم ونحوهِ من العناصر في اماكن على عمق ميل الى ثلاثة اميال من سطح الارض وهذه الحرارة كافية احياناً لان تصهر الصخور التي تلامسها . وصهرها يكون تدريجاً . ومتى صهر قدر كافٍ منها فعل الماء الذي فيها فعل الموادّ المنفجرة وقوةُ انفجارهِ كافية غالباً لأَن تشق سطح الارض فيحدث الثوران . ومتى قذفت المواد المصهورة كلها ونفد ما في الحوض انسدَّ الى حين . فاذا بقيت الحرارة تتولَّد ذابت صخور اخرى وحدث ثوران آخر فيما بعد . وقد يتكرر ذلك مئات او الوفاً من المرات ويدوم مئات الالوف او ملايين من السنين في مكان واحد او يتكرر مراراً معدودة او لا يحدث سوى مرة واحدة

فمن هذا يتضح لنا سبب تعدد ثوران البركان الواحد وهذا الرأي يناقض الرأي القائل ان احواض الحمم والمصهورات قسم من بناء الارض الاصلي وانها ما زالت في مواقعها الحاضرة مدة نشوء الارض تتحين الفرص الملائمة لقذف محتوياتها . اما الرأي الذي نحن بصددهِ فلا يستلزم وجود هذه الاحواض ولا يعدُّها محتوية لمواد مصهورة الاَّ بعد ان تتعرض لحرارة تصهر قسمًا من طبقة الارض فتتولد الاحواض ومحتوياتها اذ ذاك . ومتى ذاب من الحمم وتبخَّر من الماء ما يكفي لشق سطح الارض حدث الثوران ودام حتى يستنزف ما في الحوض فينسد الى ان يأتيهُ مدد آخر فيعود الى ثورانهِ

وبذلك يمكننا ان ندرك كيف توجد احواض الحمم المصهورة قرب سطح الارض . فان درجة حرارة الحمم المصهورة بين ١٠٠٠° و ١٢٠٠° بمقياس سنتغراد ولو كانت هذه الحرارة متوقفة على حرارة الارض الطبيعيَّة للزم ان يكون سطح الحمم المشار اليها على عمق ثلاثين ميلاً الى اربعين ميلاً عن سطح الارض . على انهُ لا يمكننا القول ان حرارة الارض في مكان تختلف عن حرارتها في مكان آخر الى حدّ ان تكون درجة الحرارة ١٠٠٠ بميزان سنتغراد في مكان عمقهُ ميلان فقط عن سطحها ومثل ذلك في مكان آخر لا يقل عمقهُ عن ٣٠ او

٤٠ ميلاً . ومن الصعب ايضاً ان يتصوَّر الانسان حدوث حادث في جوف الارض يرفع قسماً منهُ الى قرب سطحها فان الحقائق الجيولوجية تنافي ذلك . نعم ان ثوران البراكين يحدث غالبًا حيث طبقات الارض متصدّعة ولكنهُ يحدث ايضاً حيث لم يطرأ عليها تصدع ولا انقلاب منذ عهد متوغل في القدم

ومن البراكين ما يقذف وحلاً مثل براكين اميركا الوسطى وبركان بنداي سان في اليابان وقد حار العلماء فيهِ ولكن الرأي الذي نحن بصددهِ يزيل كلَّ حيرة . فلا بدَّ ان يكون مصدر هذه البراكين اقلَّ عمقاً من مصدر البراكين الاخرى كأن يكون على عمق نصف ميل من سطح الارض

ورب سائل يسأل لماذا يحدث الانفجار دائماً من احواض قريبة الى سطح الارض لا من الاحواض البعيدة عنهُ . وجوابًا على ذلك اقول اني لست ادعي ان احواض الحمم لا تتكون الاَّ على عمق ميلين او ثلاثة اميال ولكنها ان كانت تتكون على اعمق من ذلك فانها لا تستطيع ان تدفع محتوياتها الى سطح الارض . وذلك لان ضغط الصخور التي فوقها يبلغ ١٨٠٠٠ رطل فوق كل عقدة مربعة على عمق ثلاثة اميال و٢٥٠٠٠ رطل على عمق اربعة اميال فلا يستطيع بخار الماء تحت ذلك الضغط ان يرفع ما فوقهُ ويفتح لهُ طريقاً الى سطح الارض الاَّ اذا كانت حرارتهُ تزيد كثيرًا على درجة ١٢٠٠ بميزان سنتغراد . ولكن كلما زادت الحرارة زاد اشعاعها حتى يصير ما يشعُّ منها او يفقد مساويًا لما يتولد فلا تعود تزيد

هذا ولو كان الانفجار يحدث من احواض عمقها اكثر من اربعة اميال لكانت حرارة الحمم عظيمة جدًّا ومقدارها كبيرًا جدًّا ولكان تأثيرها اشدَّ كثيرًا مما نعهدهُ

وبعد ان ابان الكاتب وجود الراديوم وملابساتهِ في تراب الارض ومائها وهوائها استناداً الى ابحاث جمهور من العلماء قال وخلاصة تلك الابحاث ان الحرارة الناشئة عن الراديوم ومماثلاتهِ تزيد كثيرًا عن القدر اللازم للتعويض عما تفقدهُ الارض منها بالاشعاع والايصال اي ان حرارة الارض الباطنية على ازدياد اما في قسم كبير او صغير منها او ان الربح والخسارة متساويان . ولا ريب ان مقدار تولد الحرارة من الراديوم يختلف كثيرًا باختلاف الامكنة ففي مكان تزيد الخسارة على الربح وفي آخر يجري عكس ذلك . واذا كان هناك ربح وكان مكان تولد الحرارة قرب سطح الارض صهرت الصخور فتمت بذلك جميع الشروط الملائمة لثوران البراكين

انتقاد فتاة مصر

قبل ان ابدأ بانتقاد هذه الرواية البديعة في بابها اقول اني كنت اقرأ فتاة مصر كما كنت اقرأ بقية مقالات المقتطف الرائعة واعيد النظر فيها كما اعيد النظر في تلك فتأخذني نشوة من حسن اسلوبها وما اودعهُ الكاتب في مطاويها من افكارهِ العمرانية وانتقاداتهِ البديعة الفلسفية إنْ في ما يتعلّق باسباب الحرب الروسية العمرانية او في ما يتعلّق باحوال مصر الاجتماعية والزراعية او في ما يتعلق بالماليين وتأثيرهم في هيئة المدنية الحاضرة

والحق يقال اني كثيرًا ما كنت اقدّم قراءتها على قراءة بقيَّة مقالات المقتطف لا لمجرَّد الفكاهة واللذة المرادة من كتابة اغلب الروايات بل لما كنت ارى فيها من الحقائق العمرانية والسياسية وما ترمي اليهِ من اصلاح الاخلاق والعادات والتعريض ببعض ما اضرَّ بنا من الاقبال على ما كاد يشرف بنا على شفا جرفٍ من الافلاس والخراب واشتدَّت غوايتنا بهِ حتى عمَّ او كاد يعمُّ غنيَّنا وفقيرنا عالمنا وجاهلنا تاجرنا وصانعنا واعني بذلك مضاربات البورصة والتقحُّم فيها على الخراب ونحن لا نشعر

واقول ايضًا اني بعد ان قرأتها اجزاءً وقت صدورها عدت فقرأتها مجلدةً مرتين فما زادتني قراءتها الاَّ اعجابًا بها ويقيني انها من خير ما أُلف لتهذيب شباننا وانها اجدر كتابٍ لحد الان يحسُن بنا ان نضعهُ بين ايدي شباننا وطلبة مدارسنا يقرأُونهُ اولاً لما فيها من حسن الاسلوب ودقة التعبير مضافًا الى ذلك فصاحة الالفاظ وبلاغة التركيب وسلامة الذوق . وثانيًا لما فيها من المرامي والمقاصد الحكميَّة والفلسفة العمرانية ولا سيما ما ينبغي تنبيه اذهان الشبان اليهِ من قوَّة المال والماليين وانهُ لا تقوى امة او تصير شيئًا مذكورًا ما لم يجتمع عندها بكد افرادها واقتصادهم رأس مال يعدّونهُ لطوارق الحدثان يغالبون بهِ بقية الامم ويزاحمونهم على موارد التجارة والانتفاع وينازعونهم بكثرتهِ السطوة والوجاهة

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ   ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

وهنا اشكر لاستاذي الدكتور صروف واضع هذه الرواية لانهُ اجاب ملتمسي في طبعها على حدةٍ لينتفع بها التلامذة خصوصًا وانها وفَّت بالغاية التي من اجلها التمست منهُ طبعها وحدها وهي الآن كتاب مطالعة لاكثر من ستين بل سبعين طالبًا يتمرنون بمطالعتها على تطبيق قواعد النحو على ما يقرأُونهُ ويتحدّون اساليبها في الكتابة والانشاء وقد وفَت بهذين الغرضين فضلاً عما يجدهُ فيها الطلبة من الفوائد العمرانية والاخلاقية المقصودة راسًا من تأليفها

ولنرجع الآن بعد هذه الديباجة او التمهيد الي غرضنا الاصلي من الانتقاد عموماً وانتقاد هذه الرواية خصوصاً

انواع الانتقاد

(اولاً الانتقاد النحوي)

واكثر كتابنا اذا انتقدوا وجَّهوا هَمَّهم الى هذا النوع من الانتقاد فاذا رأَوا عرضاً المرفوع منصوباً او مجروراً او بالعكس اكثروا الصياح والجلبة على الكاتب فرموهُ بالجهل والفهاهة واكثروا من ذلك يهولون بعلمهم وفضلهم واتخذوا ذلك ذريعة للتنقُّص من الكاتب والغضّ من كرامتهِ والانحاء على علمهِ وفضلهِ تهكُّماً واستخفافاً واولى بالمنتقدين منا ان يُقلعوا عن هذا الانتقاد التافه فانهُ ان دلَّ على علم من جهةٍ فهو دليلٌ على جهلٍ من جهةٍ اخرى . وسببهُ ان اكثر ما يقع من هذه الاغلاط انما يقع عن تسرُّع الكاتب وقلما يُخِلُّ مع ذلك بفصاحة او بلاغة لان المعني يكون ظاهراً ظهور الصبح حتى قلما يفطن لهُ احد الاَّ المتحرّي لهُ بل ربما كان ما عُدَّ غلطاً لا يُعَدُّ كذلك الاَّ على مذهب مخصوص . والعاقل يعلم انَّ علامات الاعراب في اللغة انما هي من قبيل الإنافة والمواضعة لا من قبيل الجوهر والحقيقة فمن ثمَّ قد لا يُعَدُّ الاخلال بها اخلالاً يقضي على المخلّ بالجهل وعلى الناقد بالفضل بل كثيراً ما يكون الامر على عكس ذلك لان لسان حال الناقد المحتفل بهذه الاغلاط المُعَظْعط لها يشهد عليهِ ولاسيما اذا جرى على مذهبٍ مخصوصٍ أَنهُ حسب العرض جوهراً والآلة غايةً وهذا هو الجهل بعينهِ . هذا ولو كان الاعراب امرًا جوهريًّا في الخطاب والكتاب لما سقط من العبرانية والسريانية خطاباً وكتابةً وهما اختا العربية او اقلهُ لما سقط معظمهُ من على السنتنا في كل البلاد العربية حتى من على السنة المشتغلين بالنحو لاشغل لهم سواهُ وقد فرَّغوا كل اوقاتهم لدرسهِ وتدريسهِ لا يعرفون سواهُ ولا يحفلون بغيرهِ من بقية انواع العلوم

ولا يؤْخذ من قولي هذا انَّ النحو علم لا ينفع وجهالة لا تضرُّ حاشا لي ان اقول ذلك وانا من معلّمي النحو والمشتغلين بدرسهِ وتدريسهِ منذ عشرين سنة ونيفٍ . بل انا ممَّن يعتقدون ان علم النحو العربي قد يكون بفضل استاذٍ من افضل انواع العلوم التي تدرَّس في المدارس العالية لتقوية قوى العقل في الشبّان ولاسيما قوى الفهم والقياس والاستنتاج . وهو من هذا القبيل لو وُضع في كفة ميزان ووُضع في الكفّة الاخرى علمان آخران – ايّ علمين كانا – المنطق والفلسفة – الجبر والهندسة – الكيميا والفلسفة الطبيعية – الحيوان والنبات – التاريخ

واللغة الخ – لرجحهما فهبطت كفَّتهُ بسرعة الى الارض وشالت الاخرى الى السحاب . ولكنني مع اعتقادي هذا لا ارى انتقادًا تافهًا على كتاب علمٍ او فلسفةٍ اتفه من الاقتصار على انتقاد هذه الحركات والسكنات الاعرابية والتهويل بها كأَنَّ العلم كلَّهُ في تحرّيها والجهل كلهُ في الغفلة احيانًا عنها . اقول ما اقولهُ وانا احمد الله ان فتاة مصر لا مجال فيها لهذا الانتقاد التافه فاني لم الحظ اغلاطًا من هذا القبيل الاَّ ان تكون غلطةً مطبعية ظاهرة للعيون ظهور الشمس في رائعة النهار حاشا عين المتعنّت المتحذلق في النحو ولا اذكر اني مررت على غلطة من هذا القبيل او ما يضارعها الاَّ في صفحة ٢٦ آخر الوجه فقد جاء فيهِ هناك – انا لا اطيق أُتلقي نفسك في ايدي هؤُلاء اللصوص – والمرجَّح انَّ الكاتب اراد أَن تُلقي نفسك – فسقطت النون في هذا الموضع غفلةً من صفّيف الاحرف او تسرُّعًا من الكاتب ولم يشعر بذلك كما يحدث كثيرًا مع كل كاتبٍ على ما يُعلَم بالاختبار (١)

(ثانيًا الانتقاد البياني)

وهو اعلى شأْنًا واكثر فائدة من الانتقاد على مرفوع او منصوب او مجزومٍ او مبنيٍّ على السكون او احدى الحركات . ومدارهُ على التعقيد والالتباس فحيثما وُجد هذان فهناك محلٌّ للنقد واما حيث البيان وظهور المراد على اتمها في المفردات والتراكيب فلا موضع لهُ وإِنْ تمحل لهُ موضع مع خلو الكلام عما ذكرنا من الالتباس والتعقيد فهنالك الخبط والجهل الفاضح (وان كانا لا يُعلمان عند كل الناس) وليس مرادي الآن ان اتغلغل في هذا الموضوع من النقد وبيان جميع ما يدخل تحتهُ فانهُ بحرٌ واسع لا ساحل لهُ . واكثر الكتب الموضوعة في فن البيان مما يُطبَّق الانتقاد على موافقتهِ لضوابطها او مخالفتهِ لها غير مجرَّحٍ فيها ولا ترجع ضوابطها الى اصول كليَّة لا مجال للاعتراض عليها ولذلك كان الذوق السليم اولى ان يحكَّم غالبًا دونها وهو اذا رجعنا اليهِ في انتقاد فتاة مصر رأَيناها لا غبار عليها الاَّ في مواضع قليلة جدًّا واكثرها من قبيل استعمال الفصيح مع وجود الافصح او ما يقارب ذلك . ومن هذه المواضع ما جاء في وجه ٤٠ – وانفضَّ رأْيهم على ان الخواجه لاڤي يدبر الامر بحكمتهِ – اي وانفضَّ مجلسهم فان الانفضاض في الاصل للمجلس لكن لحصول الرأي في ذلك المجلس نُسب الانفضاض اليهِ . وهو من قبيل اقامة الحالِ في المكان مقام

---

(١) [المقتطف] لقد تحرينا انطاق الناس بما ينطقون بهِ عادةً فكلمة « انا لا اطيق » مقولة على هذه الصورة مقطوعةً اي انا لا اطيق ما تفعل او ما يفعل والجملة بعدها استئنافية او ابتدائية ولو وضعت نقطة بعد كلمة اطيق لكان ذلك ادلَّ على المراد

المكان ويمثلون لهُ بقولهم – ونادى اصحابُ الجنة اصحاب النار – اي جهنم لكن لما كانت الملابسة بين الرأي والمجلس اكثر بعداً مما هي بين النار وجهنم في الآية التي يستشهد بها كانت لذلك عبارة فتاة مصر من قبيل استعمال الصحيح الفصيح دون الافصح . ومما يجري هذا المجرى ما جاء في صفحة ٤٣ حيث يقول – فكأنها اموال تقترضها الحكومة وتُعطيها للاهالي بربًا معتدل لا يستطيعون الاقتراض بهِ هم – وكان الاولى على ما ارى لو قال – لا يستطيعون هم ان يقترضوها بربًا مثلهِ او بربًا من مثلهِ . وكذلك ما جاء في وجه ٥٦ – وحليمة اخت حليم بك من اجمل البنات اللواتي وقعت عليهنَّ عيني . ووجه ١٠٧ – كلاَّ ولكنَّ هنري نفسهُ اخذ مكتوبها وكتب لي حاشية فيهِ يقول فيها . وتركيب العبارتين فصيح لا غبار عليهِ الاَّ ان حسن الرصف يقضي بتأخير المجرور عن (عيني) في العبارة الاولى وتقديمهِ على (حاشية) في الثانية . ومع ذلك فالفرق بين العبارتين على اصلهما وبينهما على ما صارتا اليهِ زهيدٌ جدًا ولا سيما في العبارة الاولى . وربما وجدت مواضع اخرى من قبيل العبارتين اللتين ذكرناهما لم انتبه اليها ولكنها قليلة جدًا . وبالاجمال اقول ان الذوق السليم يشهد ان "فتاة مصر" جاءت من اولها الى آخرها كأنها النيل المبارك يجري مدلاً بعظمتهِ وجلالة قدرهِ بين الجزيرة والجيزة في جوار القاهرة . واليك بعض شذرات منها

هنري – اذًا انتِ تفكّرين فيهم اما انا فاني باذل جهدي لكي انسى ما مضى فلا استطيع ويخطر ببالي احيانًا ان اعود من السويس ولكن السفينة تقوم صباح الاثنين ولا تقوم سفينة بعدها الى اليابان توًّا الاَّ بعد اسبوعين ومهمتي تقضي عليَّ بالذهاب في هذه السفينة وقد ضاقت بي الحيل ولا اعلم كيف اعمل . ايجوز ان اضحي عواطفي كلها لاجل عمل لا ينالني منهُ ربح مادي ولا ادبي . لماذا نذهب الى بلاد اليابان ؟ لخدمة الماليين لكي تكثر اموالهم اما جمهور الاهالي الفلاحين والمعدّنين والصنّاع وهم التسعة الاعشار فلا يستفيدون شيئًا . والماليون ايضًا لا يستفيدون لان زيادة المال لا تزيد الراحة بل تزيد التعب . هذا لورد بنشيلد تقدَّر ثروتهُ باكثر من ثلاثين مليونًا من الجنيهات ودخلهُ اليومي باكثر من ثلاثة آلاف جنيه وقد سمعت منهُ ان ما ينفقهُ على نفسهِ في مأكل ومشرب وملبس لا يزيد على ثلاثة جنيهات في اليوم يأكلُ في الصباح بيضة ويشرب كاسًا من اللبن والقهوة ويأكل الظهر قطعة من السمك وقطعة من اللحم وقليلاً من الخبز والخضر والفاكهة ونحو ذلك في المساء وان زاد بُلي بالتخمة ويلبس مثل ابسط الناس وما هو الاَّ وكيل على امواله يهتمُّ نهارًا وليلاً بتشغيلها وتثميرها فلو بلغنا مبلغهُ من الثروة لزدنا طمعًا وتعبًا . انظري كيف نحن الآن

مسخَّران لغيرنا . كيف دست قلبي وعواطفي وخرجت من بيت واصف بك وابنهُ على فراش الموت ولا امل ان اراهُ بعد الآن وبهيَّة تبكي وتنوح ويكاد قلبها ينفطر حزنًا عليهِ . تصوري نفسكِ مكانها وان مركبة الترامواي داستني فقتلتني اوكادت ولكِ حبيب او صديق لا بدَّ لهُ من ان يتركك في تلك الساعة تصوري نفسكِ مكانها

فاغرورقت عينا دورا بالدموع وقالت لهُ اني اعرف ما يختلج في فؤادك وأؤكد لك يا هنري اني احب هذه الفتاة كما تحبها انت واني آسفة جدًّا لفراقها على هذه الصورة ويكاد قلبي ينفطر عليها وعلى امها ولكن الواجب اولى بالاتباع ونحن مرتبطان بهذا السفر ولا مناص لنا منهُ واذا بقينا في مصر لا نقدّم ولا نؤخر ويقيني ان امين بك يقوم من هذه السقطة واظن اننا نجد تلغرافًا منهم في السويس يطمننا عنهُ والاَّ فلا بدَّ لنا من ان نرسل تلغرافًا نسال بهِ عن صحتهِ (فتاة مصر وجه ٥٢ — ٥٣)

اقرأ ايضًا وجه ٥٧ و ٥٨ الى آخر السطر الثامن منهُ . ووجه ٦٦ و ٦٧ الى آخر السطر السابع منهُ . ووجه ٧٠ الى السطر الخامس قبل الاخير . ووجه ١١٤ الى آخر كلام لادي برون وجه ١١٦

ولو اردت ان اشير الى كل كلام انيق معجب لبلاغتهِ او للحكمة المودعة فيهِ او للحقائق العمرانية الواقعة فعلاً ونحن في غفلةٍ عنها لأشرت الى اكثر من ثلثي هذه الرواية البديعة ولا اراني مبالغًا

(ثالثًا الانتقاد اللغوي)

وكثيرون من منتقدينا يأتون في هذا النوع من الانتقاد بالمبكيات المضحكات ولا احاشي جلّة من اكابر علمائنا وكتابنا معًا . والغريب ان بعضهم يكاد ينكر القياس فلا يجيز في الاستعمال الاَّ ما نصَّ عليهِ في كتب امهات اللغة فان لم ينصَّ الصحاح او الفيروزابادي او لسان العرب على احتار مثلاً يؤاخذون من يستعملها ولو تابع في استعمالها كثيرين من اكابر الشعراء والفقهاء . وكاد العلاَّمة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار المشهورة يهوي في مهواة هؤلاء الاقوام فانهُ على سعة علمهِ لم يرُقهُ على ما يظهر استعمال بعضهم "احتار" مع معرفتهِ ان قد استعملها قبلهُ الامام ابن الفارض المشهور . وبعضٌ غيرهُ من اكابر الفقهاء كصاحب الكتاب المسمَّى بردِّ المحتار على الدُّرّ المختار . وكنت اعجب من تضييق هاتهِ الفئة كل هذا التضييق وما الذي يعتمدونهُ في الاخذ بهذه الخطَّة التي اخذت بخناق الكتبة والمؤلفين وخالفت مبدأً لغة هي من اشهر لغات العالم باعتمادها على القياس وبمناسبة اوضاعها

لهُ حق في هذه الحركات والسكنات الاعرابية الى ان وقفت على ما كتبهُ العلاَّمة الفيلسوف الامام الغزالي في الردّ على المشبّهة والحشوية في كتابهِ إلجام العوام فترجّح لي ان كلام الامام هناك استهوى القوم فقاسوا عليهِ لكن حيث لا يصح القياس لوجود الفارق فادّى قياسهم لسوء الطالع الى ما كاد يبطل القياس في الفاظ اللغة حيث تمسّ الحاجة الى القياس وحيث لا مانع يمنع منهُ عقلاً او نقلاً وبيان ذلك

انهُ ورد في الكتاب والسنة الفاظ في حق الباري سبحانهُ وتعالى توهم الجسميَّة كاليد والعين والاستواء والنزول وغير ذلك مما اخذها الحشويَّة دليلاً على التجسيم واستغووا بها العامة وبعض الخاصة بزعمهم ان ذلك مذهب السلف فتصدَّى الامام للرد عليهم واليك بعض كلامهِ قال : وحقيقة مذهب السلف ان كل من بلغهُ حديث من هذه الاحاديث من عوام الخلق يجب عليهِ فيهِ سبعة امور (١) التقويس (٢) التصديق (٣) الاعتراف بالعجز (٤) السكوت (٥) الامساك (٦) الكفّ (٧) التسليم. ثم فسَّر الامساك بما نصهُ بالحرف الواحد قال : واما الامساك فان لا يتصرف في تلك الالفاظ بالتصريف والتبديل بلغة اخرى والزيادة فيهِ والنقصان منهُ والجمع والتفريق بل لا ينطق الاَّ بذلك اللفظ وعلى ذلك الوجه من الايراد والاعراب والتصريف والصيغة

ثم افاض الامام في هذا الموضوع بما هو غاية في بابهِ وحري بكل عالم من علماء الكلام عند المسلمين وبكل عالم من علماء اللاهوت عند المسيحيين ان يقف عليهِ فانهُ مما تتطاول اليهِ الاعناق وتطمح الى مثلهِ الابصار في كل زمان ومكان . ولا يبعد عندي انَّ علو طبقة كلام الامام الغزالي في هذا المقام الكلامي التنزيهي هو الذي استهوى اهل هذه الفئة التي اشرنا اليها فعمَّموا الامساك في كل الفاظ اللغة مع ان الامام خصهُ ببعض الفاظ منها وردت في القرآن وفي بعض الاحاديث مما توهم التجسيم وبذلك حظروا على الكتبة والمتكلمين استعمال القياس حيث لا محظور من استعمالهِ فابطلوا القياس بالقياس فيا للغرابة ويا للفهم والنظر الصحيحين

والغريب ان بعضاً من اهل هذه الفئة يتسامحون في القياس الاَّ انهم يتأبَّون كل لفظ قاستهُ العامة او استعملتهُ على سبيل الكناية او المجاز مع ان مسوغ القياس والمجاز هو من الظهور حتى لم يخفَ على هولاء. وربما استعملوا بدلاً من ذلك اللفظ لفظاً آخر هو في الاصل قياس او مجاز من ذلك خابرهُ في مسألة كذا او تخابروا فانهم لا يسوّغون استعمال هذه اللفظة ويعدلون عنها الى نابأهُ في مسألة كذا وتنابأوا مع ان هذه الاخيرة مأخوذة من النبإ

والاولى من الخبر . والخبر والنبأُ بمعنى واحد الاَّ انَّ الخبر اعرف واعم واشهر. وكذلك يأبون استعمال تكاتفوا على كذا من الكتف ولا يرون انها كتظاهروا من الظهر على حين ان وَضْع الكتف للكتف في التعاون اقرب للفهم لانهُ اكثر مشاهدةً من وضع الظهر للظهر. وبعضهم يرون استعمال التوفير من الكبائر ليس الاَّ لانَّ العامَّة تستعملهُ بالمعنى الذي يراد استعمالهُ او وضعهُ لهُ . وبعضهم يشدّد النكير على عائلة الرجل بالمعنى الذي تستعملهُ العامَّة مع انها "كعاقلة الرجل" من عالٍ عيالهُ كفاهم معاشهم ومأنهم او من عال الشيءُ فلاناً اهمَّهُ ومفادها بالقياس على عاقلة الرجل انهم الجماعة الذين يعولهم او الذين يهمونهُ ولا اوضح من الكناية بها على نفس المعنى الذي يراد في استعمالنا الدارج . ومثل ذلك تشديدهم على الدارج. والخارج. والخارق . اذا استعملت بالمعاني التي تستعمل لها في الدارج . وكل هذا غفلة عن النظر الصحيح وقد جرَّ اليهِ ما استهوى القوم من القواعد الموضوعة لتنزيه الباري تعالى عن الجسميَّة على ما المعنا اليهِ . فيا لله متى نعدل عن هذا التحرُّج الذي يقضي العقل والنقل بتركهِ

ولا يسعني المقام الآن ان اخوض في هذا البحث الى نهايتهِ وربما عدت اليهِ في وقت آخر اذا فسح لي المقتطف الاغرّ مجالاً بين صفحاتهِ (١) ولنرجع الى فتاة مصر فاقول ان الكاتب قال في صفحة ٧١ آخر الوجه — ولكن الرجل الغنيّ المطموع فيهِ يتناتشهُ الناس من كل جهة — فان كان مبدأُ الفئة التي اشرنا اليها صحيحاً كانت لفظة — يتناتشهُ — فيها شيءٌ من العاميَّة وعندي ان هذه العاميَّة هي في منتهى الفصاحة ويا ليت الكاتب جاء في روايتهِ بمئات من امثال هذه اللفظة فانها لم تخرج عن القياس الواضح الذي لم يتغيَّب حتى عن العامَّة

(رابعاً الانتقاد على الرواية)

كأن يستشهد الكاتب ببيت من المنظوم او بفقرة من المنثور فينسبها الى غير قائلها او يورد فيها روايةً اخرى غير المشهور فيتذرَّع المنتقد بما ورد من الخطإِ الظاهر او الحقيقي الى التنقُّص من الكاتب والتهويل بما ارتكبهُ من الخطا . وقد يكون كل ذلك مما لا طائل تحتهُ بالنظر الى غرض الكاتب . وقد ورد من هذا القبيل في فتاة مصر وجه ١٧٦

فقد تقلب الايام حالاتِ اهلها   وتعدو على اسدِ الرجال الثعالبُ

---

(١) [المقتطف] على الرحب والسعة فان المبتدئين بالكتابة لعلى غاية الاحتياج الى من يشدد عزائمهم ويسهل عليهم السير في سبيل القياس

وفي البيت رواية اخرى وهي(١)   وتعدو على اسد الدحالِ الثعالبُ

وارجح انها الرواية الصحيحة ولكني لا ارى هذا التصحيح يزيدني فضلاً او علماً كما انهُ لا ينقص كذلك من قيمة الرواية او من علم الكاتب وفضلهِ

وبالاجمال ان كلاًّ من الانتقادين في اللغة وفي الرواية ولا سيما الاول قد يكون تافهاً وقد يكون معتبراً . اما المعتبر فهو الانتقاد على الالفاظ القلقة في مواضعها وهناك الفاظٌ ارسخ منها واشد استحكاماً في مواضعها يمكن ان توضع بدلاً منها . او تكون الفاظاً مترادفة لا يعرف الكاتب الفرق بينها في اصل الوضع فيظن ان المجاز المستعمل في الواحدة منها يصح في صاحبتها فيخطئُ الغرض ويفوتهُ بذلك طلاوة الكلام وحسن وقعهِ في النفوس والاسماع . واما هذا الانتقاد على الالفاظ لانها مقاسة مع ظهور دلالتها على معناها ولا ظهور الصباح او لانها مما تستعملها العامة مع انها في مواضعها مما لا تقوم لفظة مقامها وهي مع ذلك جارية على مجاري القياس في الاشتقاق والمجاز لا خلل فيها من هذا القبيل الاّ انها غير واردة في امّهات اللغة المتداولة فمن الانتقاد الجدير بنا الاقلاع عنهُ وان اسفَّ اليهِ قومٌ لهم شأن ومكانة في عالم اللغة والادب

(خامساً الانتقاد المعنوي او الحقيقي)

وهو الانتقاد المعوَّل عليهِ وبهِ يتنافس العلماء والفضلاء . والمقصود منهُ تجريح ما في الكتاب المُنْتَقَد وبيان مواضع الخطاء فيهِ إن وُجدت والاَّ فبيان محاسنهِ وما فيهِ من المواضيع المهمة النافعة للقرَّاء . ومدار هذا النقد على موضوع الكتاب فان كان كتاباً تاريخيًّا مثلاً فتجريح النقول فيهِ وبيان ما اذا كانت ممَّا يعول او ممَّا لا يعوَّل عليها من جهة وما اذا كانت مستوفاة من جهة اخرى . ثم بيان ما اذا كان المستنتج من هذه النقول جارياً على مقتضى الاستنتاج العقليّ الصحيح او ملويًّا بهِ عنهُ

وهكذا يقال في ما اذا كان موضوعهُ ادبيًّا او عقليًّا او علميًّا او سياسيًّا فانهُ ينظر اولاً الى تمحيص الحقائق والمبادئ ثم ينظر ثانياً في تمحيص المستنتجات من تلك الحقائق وقد لا تقل احياناً فائدة هذا الانتقاد اذا كان مستوفًى عن فائدة الكتاب المنتقد ويظهر فيهِ مقدار علم الكاتبين المنتقد والمنتقد عليهِ وفضلهما . ولا تكون نتيجة مثل هذا الانتقاد الاَّ تنوير البصائر وتوسيع نطاق الحقائق وما يترتب على ذلك من الفائدة علماً وعملاً

---

(١) [المقتطف] ما ذكرناهُ ليس رواية اخرى بل تصحيف في الطبع لم ينتبه لهُ وقت تصحيح المسودات فنشكر فضل المنتقد على تنبيهنا اليهِ

موضوع فتاة مصر وابحاثها

موضوعها او الغاية منها فكاهي تهذيبي وابحاثها اجتماعية عمرانية . اما الفكاهة فيها فاحكم انَّ الكاتب وفَّاها حقَّها من تشوق القرَّاء الى الرواية وحديثهم فيها والذي اعرفهُ في هذا الصدد انما اعرفهُ من نفسي واهل بيتي وبعض اصدقائي الذين يقرأُون المقتطف وهؤُلاء كلهم كانوا اذا تأخَّر عنهم المقتطف يوماً خالوهُ اسبوعاً ومعظمهم على ما اعلم كانوا يبادرون حين وصولهِ اليهم الى فتاة مصر . وقد لحظت ممن اشرتُ اليهم جميعهم انَّ غضبهم على عزرا كان شديداً وبلغ استياؤُهم مبالغهُ عند ما قرأُوا الفصل الثامن والعشرين والثلاثين الاول في التهييج والثاني في المرافعة واشتمُّوا منهما نجاة عزرا من الحكم عليهِ فلما ظهرت الحقيقة سرِّيَ عنهم وبدت عليهم امارات الرضى والابتهاج

واما الغاية التهذيبية ففي وصف امرأَة الخواجه لافي وامرأَة واصف بك وابنتيهما وحليمة ودورا ما يفي بها . فان كل ما وصف بهِ هؤُلاء السيدات او أُسند اليهنَّ من الاقوال والافعال كان غاية في بابهِ في انهُ يرفع النفس في النساء الفتيات وربَّات البيوت ويحبّب اليهنَّ الفضيلة والتعقُّل والطهارة وسلامة النيَّة المقرونة بالفهم وصحة النظر ويرغبهنّ في كل ذلك . وكل ما قيل عن امين بك وما اصابهُ واصاب اهلهُ واصحابهم من الغمّ والحزن هو مما يكرّهُ بالبورصة وامثالها من المضاربات التي استغوت كهولنا وشباننا . وهنا اذكر اني بعثت بهذه الرواية الى ابني في مدرسة الشوير فقرأَها ولما رأَيتهُ في مسامحة عيد الفصح رأَيت انهُ اثَّر فيهِ جدًّا ما قيل عن امين بما كرَّه اليهِ البورصة وبدا لي منهُ ما يشفُّ عن شدة احتقارهِ لها ولمن يتطوّح جهلاً في اشغالها مع انهُ لا يتمُّ الثانية عشرة من عمرهِ قبل يونيو القادم . ولا اقول انهُ فهم كل ما فيها من المطاوي الفلسفية ولكني اقول انهُ قرأَها فتفكَّه بقراءتها واستفاد منها واقلُّ ما استفادهُ (وهو من اعظم الفائدة) انهُ تولّد فيهِ مقت ونفورٌ شديد من هذه المغواة الجهنميَّة التي ذهبت باموال الكثير من تجارنا وابناء الاغنياء والكبراء منا

وكل ما قيل عن هنري برون هو في بابهِ خير للشبان والطلبة من عشرين خطاباً موضوعها الترغيب في الجدِ وعلو الهمَّة والتجافي عن البذخ والاسراف وانصراف النفس الى المعالي وبذلها في الواجب وخدمة البلاد والامة والحكومة

واما بقية الاغراض العمرانية من قوة المال والماليين واسباب الثورة الروسية فيكفي الفهيم اللبيب ما اودعهُ الكاتب فيها من الحقائق والمباحث الدقيقة مما هو غاية في بابهِ . وليس لي شيءٌ اقولهُ في انتقاد هذا الموضوع الأَ تحفظ الكاتب وهو ما يتطلَّبهُ العلم وحنكة السن وخير

للكاتب ان يعرف القارئ ما يريد ان يقولهُ من غير ان يقولهُ . الَّا اني لاانكر ميلي الى تجريح ما جاء بهِ الكاتب في صدد الكلام عن مبدإ تنازع البقاء وبقاء الانسب الَّا اني بعد طول الفكرة وجدت نفسي لا اقوى بعبارتي على تصحيح ما قيل في هذا الباب الفلسفي الواسع الاطراف وان كنت اشعر بنفسي اني اقوى على ادراك ان هنالك خطأً وشيئًا يقتضي التجريح

والخلاصة ان هذه الرواية بديعة في بابها واسلوبها البلاغي وابحاثها والذي اعتقدهُ انهُ لم ينسج بعد احسن منها ولا مثلها وقد خلت من كل تضليل تاريخي يمكن ان يقع في الروايات التاريخية ووقع شيء منهُ في رواية قلب الاسد وما هو على شاكلتها من الروايات كما انها خلت ايضًا ممَّا قد لا تخلو منهُ رواية فكاهية ممَّا يحرّك النفس الشهوانية او عاطفة الحبّ الطبيعي بما يضرُّ الشبَّان والشابَّات ويدفعهم الى ما وراء الحد الذي لا يحمَد اندفاعهم اليهِ . وغاية ما اقولهُ في هذا الصدد اني لا اخشى مغبةً من قراءتها على تلميذي او على ابني او ابنتي او او فجزى الله مؤلفها خيرًا ولا اقول ما اقول تقرُّبًا من كاتبها فانهُ استاذي بكل ما تحتملهُ هذه اللفظة من المعنى الحقيقي للاستاذ وانا تلميذهُ بكل ما يجب ان تتضمَّنهُ لفظة تلميذ من المحبة والاعتبار . وليس بين الاستاذ والتلميذ اذا كان على هذه الصورة ما يسوّغ ان يتوهم فيهِ انهُ من قبيل التقرُّب ومجرّد حب الزلفى بوجه من الوجوه والسلام

* * *

رابطة السلام

تتمة المقال

لا شيء في محكمة الهاي يقضي على الخصوم برفع قضاياهم اليها . وقد قال البعض ان ذلك من دلائل ضعفها اما انا فاقول انهُ من دلائل قوتها فهي مثل القوانين الدولية لم يقيد احد باتباعها ومع ذلك تراها متبعة . لكن كثيرين فرغ صبرهم فيطلبون الاسراع في إبطال الحروب ويفرضون على الدول ان تتقيَّد بعرض مشاكلها على هذه المحكمة . الَّا ان التأني احكم والامور مرهونة باوقاتها والسلم لا يأتي بالعنف بل بالرجوع الى حكم العقل والضمير . ففي كل المعاهدات التي عقدت حفظت الدول الكبيرة لنفسها الحق بعدم التسليم في المسائل التي تتعلق بشرفها ومصالحها الضروريَّة التي يتوقف عليها كيانها . وهذا امر لا بدَّ منهُ في البداءة وسيتسع نطاق المسائل التي تعرض للتحكيم رويدًا رويدًا . ولا شبهة في ميل الناس الى ذلك ولكن لا نصل الى الغاية المطلوبة الَّا بالصبر والتأني

ومن اوسع الخطى التي خطتها بعض الدول نحو هذه الغاية ما فعلتهُ الدنمارك وهولندا وشيلي والارجنتين فانهنَّ امضين معاهدة تعهَّدن فيها برفع كل المسائل الخلافية الى هذه المحكمة من غير استثناء. وقد نصبت الحكومتان الاخيرتان اي شيلي والارجنتين تمثالاً لملك السلام على اعلى قمة في الجبال الفاصلة بينهما تذكارًا لهذا الاتفاق

ومن ذلك ايضاً اتفاق مملكتي اسوج ونروج على فض كل المشاكل بالتحكيم ولا يستثنى من ذلك الاَّ المسائل المتعلقة باستقلال كل بلاد منهما وحفظها غير متجزئة ومصالحها الضرورية. واذا اختلفتا في مسألة هل هي من المسائل التي تعرض للتحكيم او من المسائل التي لا تعرض لهُ فمحكمة التحكيم تفصل في هذا الخلاف . فاذا ادعت دولة منهما ان مسألة من المسائل الخلافية متعلقة باستقلالها ولم تشأ عرضها للتحكيم فلمحكمة الهاي الحق ان تحكم في هذه الدعوى فاذا حكمت ان المسألة لا تتعلق بالاستقلال وانهُ من اختصاصها النظر فيها وجب على الدولة المدَّعية ان تقبل حكمها

فيجب ان تهنأ هذه الدول لانها سبقت غيرها في هذا السبيل المجيد . ونحن لا نبخسها حقها من الفخر بذلك مع اننا كنا نودُّ ان يكون هذا الفخر للامة التي حرَّرت العبيد وابطلت الاستعباد والمبارزة . فلم يبقَ لنا والحالة هذه الاَّ ان نسير على اثر الذين سبقونا في هذا المضمار ونعقد معاهدة بين الامتين المتكلمتين باللغة الانكليزية والاَّ خالفنا دعوانا التي ندعيها وهي اننا روَّاد الحضارة. وكيف نحتمل ان تسبقنا هذه الامم الصغيرة وكيف لا نسعى لكي نجاريها على الاقل

قلنا ان ما يتعلق بشرف الامم ومصالحها الضرورية استثني من التحكيم حتى الآن . ولقد طالما تشكى نصراء الانسانية من كثرة الجرائم التي ترتكب باسم الحرية ولكن هذه الجرائم طفيفة في جنب ما يرتكب باسم الشرف . وان ما يسمى شرفاً لهو خالٍ من كل شرف حقيقي. وما من احد يستطيع ان يثلم شرف غيرهِ انما الانسان يثلم شرف نفسهِ فان ثلم الشرف امر داخلي لا خارجي وهو مما يفعلهُ الانسان نفسهُ لا مما يفعلهُ بهِ غيرهُ . والمرء الذي يحتاج شرفهُ الى الدفاع جدير بان يؤسف عليهِ

والمحق الذي لا لوم عليهِ لا يبادر الى امتشاق الحسام ولا يخشى محاكم التحكيم . ولقد كان الناس يزعمون ان الشرف الرفيع لا يسلم من الاذى الاَّ اذا اريق الدم على جوانبهِ . ولا تزال الدول الاوربية تزعم ان الحرب لازمة لصون الشرف ولكن ابناء الامة الواحدة كالمتكلمين باللغة الانكليزية يثلمون شرفهم اذا لجأوا الى القوة للدفاع عن حقوقهم لانهُ ما من

ذنب يبيح للانسان ان يأخذ حقهُ بيدهِ ما دامت محاكم القضاء قائمة لرد الحقوق الى اربابها وما يصدق على الفرد بازاء غيرهِ يصدق على الامة بازاء غيرها . اي كما ان الرجل الذي يتقاضى حقهُ بالقوة يعدُّ بعيدًا عن التمدن كذلك الأُمة التي تتقاضى حقها بالقوة تعدُّ بعيدة عن العمران

والامم مؤَلفة من الافراد والمحاربة بين الامم كالمبارزة بين الافراد وكما أُبطلت المبارزة الآن وصار الخصوم يلجأُون الى محاكم القضاء لانصاف المظلوم من الظالم كذلك ستبطل الحروب وتصير الامم تترافع الى محاكم التحكيم لتقضي بينها

وقد زعم البعض انهُ قد تشكو امة الى محكمة التحكيم ولا تكون محقةً في شكواها او قد يشكى منها ولا تحكم المحكمة عليها ولكن هذين الفرضين وهميَّان واذا اتفقت الامم على رفع دعاويها الى محكمة التحكيم لم يصعب عليها ان تسن قانونًا لذلك مبنيًّا على مبادىء غروتيوس يحفظ استقلال الامم وتكون كلها متساوية في الحقوق لدى القانون كما ان افراد الامة الواحدة متساوون لدى قانونها مهما اختلفوا مالاً وجاهًا

وقد حدثت ثلاثة امور بعد انشاء محكمة التحكيم ألمَّت محبي السلم في المسكونة كلها

الاول رفض حكومة اميركا طلب اهالي فيلبين لفصل الخلاف الذي بينهما بالتحكيم .

والثاني رفض بريطانيا العظمى لطلب جمهورية الترانسفال مع ان الترانسفال عرضت ان يكون ثلاثة من القضاة من الانكليز واثنان فقط من الهولنديين وهذا من اعدل ما تعرضهُ بلاد على اخرى وهو يعود بالفخر على الذين عرضوهُ وعلى القضاة الانكليز ايضًا لثقة الترانسفال بهم.

والامر الثالث ان روسيا واليابان لم تطلبا المقاضاة الى محكمة التحكيم . وقد وقع ذلك موقع الاستغراب لان قيصر الروس اول من اشار بانشاء محكمة التحكيم . وقد فسَّر ذلك بعضهم بقولهِ ان الدولتين كانتا تبحثان في فض الخلاف الذي بينهما فضًّا حبيًّا حينما هاجمت اليابان بورت ارثر من غير ان تعلن روسيا بذلك فجعلت التحكيم ضربًا من المحال

وهذه الامور الثلاثة تضعف العزائم ولكن محبي السلم يتعزَّون بانهُ لو عرفت هذه الدول اولاً نتائج اهمالها التحكيم كما عرفتها الآن للجأَت اليهِ حتمًا وهنأَت نفسها بحكمهِ مهما كان والناس لا يتعلمون الاَّ بالاختبار. ومع ذلك فمحكمة التحكيم قد حكمت في مسائل اخرى كثيرة واصلحت بين الخصوم من غير ان يسفك دم انسان واحد فعاد كلٌّ منهم ظافرًا من غير ان تدمع لهُ عين

وقد كثرت الدلائل على ان السلم سيصير عامًّا ومنها الاجتماع الذي عقد في سنت لويس في العام الماضي وطلب من دول الارض ان ترسل نوَّابًا عنها الى مؤْتمر عام ينظر اولاً في

المسائل التي طلب مؤتمر الهاي ان يعقد لها مؤتمر خاص وثانياً في معاهدات التحكيم بين الدول التي لها نوّاب فيهِ . وثالثاً في انشاء مؤتمر عام يلتئم في اوقات معينة للنظر في المسائل الدولية

وقد طلب الرئيس روزفلت من دول الارض ان تدعو هذا المؤتمر للاجتماع ثم ترك الامر لقيصر روسيا حاسباً انهُ اجدر من غيرهِ بهذا الطلب

فاذا أُقيم هذا المؤتمر كان جرثومة المجلس الدولي الذي يحفظ السلم في الدنيا فيحكم بين الامم كما يحكم المجلس الاعلى في اميركا بين ولاياتها المختلفة وهي اوسع مساحة من اوربا كلها . فانشاء هذا المجلس ليس بدعةً جديدة بل هو امر موجود مجرَّب . ولا يبعد ان بعض الحاضرين يعيش حتى يرى انتظام هذا المجلس العام الذي يبطل ما جرى عليهِ الناس حتى الآن اي ذبح بعضهم بعضاً . وتدلُّ الدلائل كلها على اننا سائرون في هذا السبيل وكل مَن سار على الدرب وصل

هذا من حيث محكمة التحكيم في الهاي واسمحوا لي الآن ان اقول كلمتين عن التحكيم بنوع عام

ان رجال السياسة الذين سبقوا فرأوا فوائد التحكيم هم وشنطون وفرنكلين وهملتون وجاي وغرنڤيل

ففي سنة ١٧٨٠ كتب فرنكلين يقول " اننا نتقدَّم كل يوم في الفلسفة الطبيعية واودُّ ان نتقدَّم ايضاً في الفلسفة الادبية اي ان نكتشف اسلوباً يوجب على الامم المختلفة الفصل في خصوماتها من غير ان يذبح بعضها بعضاً " . وقد حُقّقت رغبتهُ في معاهدة جاي التي عقدت سنة ١٧٩٤ لانها مبدأُ التحكيم . ومما يستحق الذكر ان تلك المعاهدة من متولدات الامة المتكلمة باللغة الانكليزية وان اهم المشاكل التي فضَّت بواسطة التحكيم حتى الآن كانت بين فرعي هذه الامَّة

وقد تعجبون اذا قلت لكم انهُ من زمن معاهدة جاي الى الآن قد فصل بالتحكيم في ٥٧١ مسألة دولية ولم يعترض احد على حكم المحكمين الاَّ في مسألة واحدة فقط اخطأ المحكمون فيها الغرض الذي انتدبوا لهُ . فاذا كان في كل عشر من هذه المسائل التي حُلَّت بالسلم حربٌ واحدة كامنة فقد منع التحكيم سبعاً وخمسين حرباً في مئة واحدى عشرة سنة او حرباً كل سنتين . وزد على ذلك انهُ لو نشبت هذه الحروب السبع والخمسون لبذرت في الدنيا بزور حروب اخرى تتولَّد منها لانهُ لا شيءَ مثل الحرب لتوليد الحروب . فالبغض ينتج البغض والخصام ينتج الخصام والحرب تنتج الحرب . غلمان شؤم كلهم . ومن يداوي الخصام بالحرب

فقد ازال علَّة باشد منها

اذا استشفيتَ من داءٍ بداءٍ   فاقتلُ ما اعلك ما شفاكا

وما احسن ما قالهُ الشاعر ملتن "لا تنتج الحرب الاَّ حروبًا"

وقد عقدت الدول في السنتين الماضيتين ثلاثًا وعشرين معاهدة للتحكيم ويظهر من ذلك ان التحكيم سائر سيرًا حثيثًا والذين جربوهُ لا يودون العدول عنهُ لانهُ يأتي بالسلم من غير ضغينة فالذين يعتمدون عليهِ يخرجون بعدهُ اصدقاء واما الحرب فلا تترك في قلوبهم الاَّ العداوة

ولقد افاض الكتَّاب في ذكر النفقات الباهظة التي تقتضيها الحروب في ايامنا والاموال التي تنفقها الممالك الاوربية في الاستعداد للحرب حتى ارهقت رعاياها وبلغت حدًّا لا يطاق . فكل نفس في فرنسا يدفع في السنة ثلاثة جنيهات و ١٤ شلنًا ضريبة للحكومة وعليهِ من دينها ٣١ جنيهًا و٣ شلينات و ٨ بنسات . وكل نفس في بريطانيا يدفع في السنة ٣ جنيهات و ٨ شلنات و٨ بنسات ضريبة للحكومة وعليهِ من دينها ١٨ جنيهًا و١٠ شلنات و٥ بنسات . وكل نفس في المانيا يدفع في السنة جنيهًا واحدًا و١٥ شلنًا و٤ بنسات ضريبة للحكومة وعليهِ من دينها جنيهان و١٢ شلنًا وبنسان . وكل نفس في روسيا يدفع في السنة جنيهًا و١٤ شلنًا و٦ بنسات ضريبة للحكومة وعليهِ من دينها ٥ جنيهات و٩ شلنات و ٩ بنسات

ونفقات الحربيَّة والبحرية في بريطانيا نصف نفقات الحكومة كلها وهي في غيرها اقل من ذلك لكنها آخذة في الازدياد . واكثر الديون التي على الدول الاوربيَّة سببها الحروب . وهذه النفقات مع ما يتبعها من استخدام الرجال سنين كثيرة في ما لا يجدي نفعًا حملٌ ثقيل على عاتق الامم سترزح تحتهُ ان لم يتلافَ امرهُ قريبًا . ولكن يخشى ان يبقى على حالهِ الى ان تبلغ الخسائر المالية حدًّا لا يطاق

ولقد بيَّن كثيرون ان الحرب لا تدعو الى توطيد السلم ولا تزيل اسباب الخلاف من بين الدول المتحاربة وهي شر علاج لازالة الخصومات لانها تزرع بزور الشقاق وقد تمضي القرون قبل ان يزول ما زرعتهُ حرب واحدة . وقلما يغنم منها احد الخصمين شيئًا وان غنم فالحنظل والعلقم . انظروا الى الحرب التي وضعت اوزارها الآن . لم ينل احد من المتحاربين ما بغاهُ وقد خرج منها الغالب مغبونًا اكثر من المغلوب فلو علمت اليابان انها تخرج من هذه الحرب وعلى عاتقها مئتا مليون من الجنيهات دينًا وهي بلاد فقيرة ولو علمت روسيا ما تنتج لها هذه الحرب لاسرعتا الى التحكيم وقبلتا حكمهُ مهما كان . ولكن هذه الامور تغيب عن الذهن

اذا ثار ثائر الغضب في نفوس الكبراء . فلا يرجى اصلاح الحال الَّا اذا ادرك الجمهور ان قتل الناس اثم فظيع . ونخاف ان يبقى في الدنيا طغاة يوقدون نار الغضب الوحشي ويدفعون الناس الى قتل بعضهم بعضاً مدعين ان الحرب حصن الشرف ونصير الوطنيَّة وان التحكيم ملجأ الجبناء . واذا ثار ثائر الغضب لم تبق للحياة قيمة . فالذي نريد ان يرسخ في النفوس هو ان قتل الناس بالحرب اثم لا يغتفر وانهُ يجب على الدول ان ترضى بالتحكيم بدل الحرب وعلى الكنائس والمدارس وكل الذين تصدروا لتعليم غيرهم وارشادهم ان يساعدوا في ذلك

لو كانت دول اوربا الكبيرة خالية من نظام التجنيد بالقرعة ومحتاجة الى اناس ينتظمون في جيوشها كاحتياج انكلترا الى ذلك لسمعناها بعد قليل تنادي بانشاء رابطة السلام بين الدول اجمع

وكيف يتعذَّر ابطال الحرب وخمس دولٍ اتفقت بالامس على بلاد الصين فاوقفت ما كان فيها من الارتباك ودخلت عاصمتها وانقذت السفراء منها . فهذه الدول الخمس تستطيع ان تبطل الحرب اذا ارادت بل لو اتفقت ثلاث منها على ابطال الحرب في البلاد المتمدنة بناء على انها تضرُّ بالمتحاربين وبغيرهم ايضاً وفرضت على نفسها وعلى غيرها من الدول ان تلجأَ الى التحكيم لا الى غيرهِ لفض كل خلاف والدولة التي تخالفها تنفرد بنفسها وتجتمع الاربع الباقيات عليها بطلت الحرب بينها . ويحسن ان يجرَّب ذلك بضع سنوات وتشترط كل دولة انها تستطيع الانفصال عنهُ بعد اعلانهِ بخمس سنوات اذا رأت انهُ ليس من مصلحتها . واذا قرَّرت الاكثرية الغاؤُهُ أُلغي بعد خمس سنوات

ثم ان قيصر الروس كان اول مشير بمؤتمر الهاي الذي تولَّدت منهُ المحكمة الدولية فلو قام الملك ادورد او امبراطور المانيا او رئيس الولايات المتحدة ودعا دول الارض لانشاء رابطة السلام لاجابت الدول هذه الدعوة وعملت بها على الراجح لاسيما وان الدول الصغيرة تقابلها بالترحاب

والآن قد أُحكمت العلاقات بين بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ومرامي هذه الدول الثلاث متشابهة وبلدانها محدودة فيسهل عليها ان تتفق على دعوة بقية الدول للنظر في عقد رابطة السلام والغرض هام جدًّا يستحق ان تبذل كل وسيلة في تحقيقهِ . ولا شبهة عندنا ان التحكيم الموجود الآن سيتَّسع نطاقاً وان فيهِ ما يلزم لتوطيد السلم في الدنيا بعد زمن طويل ومع ذلك توجد طريق اقرب منهُ الى نيل المراد

ولا نخدعنَّ انفسنا بان التحكيم يبطل الحروب حالاً مهما عظمت فائدتهُ بل المرجح ان

تنشب حروب كبيرة قبلما يسود السلام على المسكونة لان تحت رماد الحروب الماضية جمرًا كثيرًا . وبزور البغضاء التي زرعتها لا بدَّ من ان تنبت من وقت الى آخر الى ان تستأصل وتتلاشى . ولذلك لا نطمع بان يسود السلم في ايامنا وتنقطع الحروب تمامًا بل سنرى اكثر من ثورة من ثورات الجنون في المستقبل كما رأينا في الماضي ولكن لا بدَّ من ان يسود السلام اخيرًا . وعندي انهُ يسود قبل الوقت الذي يقدّرهُ اكثركم

ويدَّعي البعض ان الحرب تقوي فضيلة الشجاعة الاَّ ان الشجاعة التي تقويها الحرب هي الشجاعة الجسدية البهيمية التي تفوقنا فيها الحيوانات الضارية فيكون الكلب العقور ارقى من الانسان على زعمهم . ان رجال الزولو ولا سلاح معهم غير الحراب يهجمون على رصاص البنادق بقلوب لا تخاف الموت لا لانهم اشجع من غيرهم بل لانهم اجهل من غيرهم ولو درسوا سنة في هذه المدرسة لشفوا من هذا الجهل ومن هذه الشجاعة . والراي قبل شجاعة الشجعان ولا سيما في عصرنا عصر العلم والتدبير

وعلى ذكر التعليم اقول انهُ قد ظهر الآن ان المتعلمين يأنفون من الانتظام في سلك الجيوش وقد انتبه البرلمنت الانكليزي الى ذلك حديثًا لانهُ وجد ان عدد الضباط اللازمين للجنود المتطوعة قلَّ ٢٥ في المئة وقل المتطوعون ٣٢ الفًا وضباط الجيش العامل ٢٤٢ ضابطًا وقل طالبو الانتظام في جيش الهند ٢ ؛ الفًا . وقد عدَّت الحكومة ذلك من اصعب المشاكل التي يطلب من نظارة الحربية حلها ويظن البعض من اكبر الثقات في الامور الحربيَّة انهُ لا علاج لذلك الاَّ بادخال نظام القرعة (اي التجنيد الاجباري) . ويسرني ان اخوانكم في اميركا واقعون الآن في مشكل مثل هذا لا من قبيل جيوشهم البرية لانها قليلة لا يعتدُّ بها بل من قبيل بحريتهم فانهم لم يجدوا العدد الكافي من البحارة لسفنهم الحربية وينقصهم الآن ٣٥٠٠ رجل وهذا كلهُ يدل على ان الانكليز واخوانهم الاميركان صاروا يكرهون الحرب ولا يُغرَوْن بالخدمة الحربية ولو زيدت رواتبهم

ومن المحتمل ان الشبان قرأوا في المكاتب العمومية كتاب كارليل الذي وصف فيهِ الصناع في بريطانيا وفرنسا وكيف " ان ثلاثين من هؤُلاء وقفوا امام ثلاثين من اولئك والبنادق في ايديهم ثم أُمروا باطلاق الرصاص فاطلقوا بنادقهم وللحال رأيت على الصعيد ستين جثة بعد ان كان عليهِ ستون رجلاً من مهرة العمال النافعين لوطنهم . ولا بدَّ من دفن هذه الجثث واراقة الدموع عليها فهل كان هؤُلاء الرجال متخاصمين كلاَّ ثم كلاَّ لان كل فريق منهم يسكن بلادًا بعيدة عن بلاد الفريق الآخر وكل فريق منهم كان يجهل معرفة الفريق

الآخر بل اذا راعينا ارتباط الناس بعضهم ببعض بواسطة التجارة فالمرجح ان كل فريق منهما كان معيناً للفريق الآخر ، فلماذا اقتتلوا وقتل بعضهم بعضاً . اختصم ملكاهم وبدلاً من ان يقتل احدهما الآخر حملا هؤلاء الحمقى على الاقتتال ”

او قرأوا ما قالهُ الاستاذ مكمتشل في مؤتمر السلم في ادنبرج سنة ١٨٥٣ وهو ”ان التجند لا ينطبق على الديانة المسيحية وكلما علا مقام المرء في الجندية وكثرت معارفهُ زاد جرمهُ . هنا رجل وهبهُ الله عقلاً رياضياً فاذا استخدمهُ في ما يرضي افاد نوع الانسان فوائد كبيرة لانهُ قد يستخدمها في انشاء سكك الحديد التي تقرّب الابعاد وتسهل المواصلات او يستخدمها في تسخير الكهربائية لنقل الاخبار ووصل القلوب ولو كانت على الوف من الاميال او في زيادة قوة الآلالة البخارية وتخفيف متاعب الناس او في اصلاح المطابع وارسال النور والمعرفة الى اقاصي الارض او في تجفيف المستنقعات واحياء الارض الموات وزيادة راحة الناس ورفاهتهم او يستخرج من سير النجوم قواعد يرتشد بها النوتي في الليلة الظلماء . ما اشرف العلم اذا وُجّه الى هذه الغايات النبيلة وما ادناهُ اذا استعمل لقتل الناس فهو مثل صانع الادوية الذي يستخدم معرفتهُ لعمل سموم تسمّ ينابيع الحياة بدلاً من ان يستخدمها لعمل ادوية تشفي من الامراض والاسقام

لاي غرض يدرس الانسان فن الحرب يدرسهُ لكي يعلم كيف يسدد مدفعهُ حتى يقتل بهِ العدد الاكبر من الناس ويتلف المقدار الاكبر من الاملاك وعلى اية زاوية يرفعهُ حتى اذا أُطلقت القنبلة منهُ وصعدت في الجو تقع حيث يريد ان تقع . تقع حيث المجتمع الاكبر من الجنود وتنفجر هناك وتقتل العدد الاكبر منهم . يا الهي أيجوز للانسان ان يوقف قواهُ العقلية لهذه الاعمال الجهنميَّة ”

او يكون الطالب قد اطّلع على كلام وكلف القائل ” اي فخر للقاتل اذا قتل كثيرين فان السيَّاف يقتل اكثر منهُ ، واحرِ بالانسان ان يكون جزّارًا للوحوش من ان يكون جزارًا لاخوتهِ ”

او يكون قد قرأ كلام جون وسلي القائل ” اندب زوال المحبة من الدنيا . هذه الممالك المسيحية يمزق بعضها احشاء بعض ويخرب بعضها بلاد البعض الآخر بالنار والسيف وترسل جموعها بالالوف وعشرات الالوف الى الهاوية ”

او يكون قد سمع اقوال القوّاد العظام كقول نبوليون ” ان الحرب صناعة البرابرة ” وقول ولنتون ” ان الحرب اكره شيء فاذا رأيت يوماً واحداً من ايامها فانك تطلب من الله

ان لا يريك يوماً آخر". او الجنرال غرانت الذي دعاهُ دوق كمبردج ليشاهد استعراض الجيوش فقال انهُ لا يريد ان تقع عينهُ على الجنود مرةً اخرى. او الجنرال شرمن الذي كتب انهُ تعب من الحرب وكرهها "فان مجدها كنور القمر ولا احد ينادي بوجوب الحرب الاَّ الذين لم يطلقوا بندقية ولا سمعوا صراخ الجرحى وانينهم . والحرب جهنم"

ان الجند المنتظم انما يراد بهِ الهجوم لا الدفاع لانهُ اذا لم يكن هجوم فلا دفاع . واما الجند المتطوّع فامرهُ على خلاف ذلك لانهُ لا يحمل السلاح الاَّ للدفاع عن وطنهِ . والدفاع عن الوطن واجب اذا هاجمهُ عدو ولكن ما من احد في انكلترا واميركا يخشى ان يضطر الى ذلك . ومع هذا فلا جدال في انهُ يجب على كل انسان ان يدافع عن وطنهِ . ولكن اذا كان دفاع الانسان عن وطنهِ واجباً عليهِ فهجومهُ على وطن غيرهِ حرام . وهذا الامر لم يراعَ حتى الآن . وما الجندي المنتظم في الجندية سوى عامل مستأجر باجرة لقتل غيرهِ لانهُ لا شيءَ يوجب عليهِ ان يعمل عملاً يدعوهُ احياناً الى قتل الناس حلالاً كان ذلك او حراماً فمن يتقيَّد بهذه الخدمة يكون قد تنازل عن حقهِ في الحكم لنفسهِ وعن الجري حسب ما يرشدهُ اليهِ ضميرهُ . . . . . . يا تلامذة سنت اندرو لقد اردتُ ان اشرح لكم الحركة القائمة الآن لابطال الحروب وما تمَّ لها من النجاح . فانها لم تقوَ قبلاً كما قويت الآن ولا نجحت في مقاصدها كما نجحت في هذه السنوات الاخيرة مبتدئاً بمؤتمر الهاي الذي هو وحدهُ من اكبر دلائل النجاح فان فيهِ اساس البناء الذي يراد انشاؤُهُ . ويتلوهُ اتفاق اربع من الدول على ان يفصلن كل مشاكلهنَّ بالتحكيم ثم اتفاق اسوج ونروج على فصل مشاكلهما بالتحكيم . ولذلك نحن سائرون نحو الزمن الذي يسود فيهِ السلم بواسطة التحكيم

ولا بدَّ من ان تسألوا الآن ماذا يُطلَب منكم حتى يتم هذا العمل المجيد وهو ابطال الحرب . فاشير عليكم ان تقتبسوا كلام وشنطون القائل "ان مشتهاي الاول هو ان ارى هذا الشر منفيًّا من الدنيا" . ويحسن ان تنشأ روابط السلام في المسكونة كلها ويكون شعارها قول وشنطون هذا . ورب قائل يقول كيف تحقق امنية وشنطون فاجيب انها تحقق على هذا الاسلوب :- كلما وقع نزاع بين بلادكم وبلاد اخرى فاطلبوا من حكومة بلادكم ان تشير بعرضهِ للتحكيم واذا كانت الحكومة من حزبكم ولا تجيب طلبكم فاتركوا حزبها لان السلم فوق الاحزاب واذا سبقتكم البلاد الاخرى وطلبت التحكيم قبل بلادكم فاصرُّوا على اجابة طلبها ولا تلووا على شيء حتى تجاب الى ما طلبت . واطرحوا كل المسائل الاخرى ولا تهتموا الاَّ بالمسألة التي من ورائها الحرب او السلم الى ان يتحقق السلم . وماذا يجب على خدَمة الدين في غضون

ذلك . يجب عليهم ان ينقطعوا عن تلاوة الصلوات المختصة بما وراء الموت ولا علاقة لها بالحياة الدنيا ويحثوا الحكومة على طلب التحكيم او على القبول بهِ اذا عُرض عليها . واذا خابت كل المساعي ورمت حكومتكم بلادها في الحرب فلا تصمتوا بل ايدّوا طلبكم بكل ما يمكن من الحجج وانتظروا نتيجة الحرب فانها لا بد وان تكون مؤيدة للذين كانوا يفضلون السلم فانهُ ما من امة غاصت فى الحرب الاَّ خرجت منها نادمةً على ما فعلت حاسبةً انها غلطت في ما فعلت والاصح ان يقال انها اذنبت في ما فعلت وارتكبت اثماً فظيعاً

وماذا يطلب من النساء والبنات اللواتي يتعلمنَ في هذه المدرسة . يطلب منهنَّ ان لا يقفن صابرات الى ان تبتدئ الحرب ثم يؤلفنَ جمعيات لارسال المآكل والملابس الى الجنود كما يفعلن الآن ويذهبن بانفسهن ويمرّضن الجرحى حتى يشفوا سريعاً ويعودوا الى ساحة القتال فيُقتَلوا او يقتلوا غيرهم . ان شفقتهن حرية بكل مدح ولكن يجب ان تصرف في السبيل الانفع وهو مقاومة الحرب والمناداة بمنعها قبل وقوعها والحث على طلب التحكيم او على قبولهِ فان تعب يوم في هذا السبيل انفع من تعب شهر بعد ابتداء الحرب

ولا شبهة في انهُ اذا اتفق كل الناس من كل المذاهب والاحزاب على طلب التحكيم فلا تستطيع حكومة ان ترد طلبهم ففي يدهم انقاذ البلاد من الحرب وتوطيد دعائم السلم

ذكرت لكم رأي وشنطون في الحرب فاذكر لكم الآن رأي رئيس آخر وهو الرئيس لنكن . لما كان لنكن شاباً زار سوقاً من الاسواق التي كانت العبيد تباع فيها رجالاً ونساءً واولاداً فوقف فيها هنيهة ثم سار في طريقهِ وهو يقول اذا وفّقني الله فسأقوم ضد هذه التجارة الملعونة . وكرّت السنون وهو يقاوم الاستعباد بكل طاقتهِ الى ان تيسر لهُ ان حرر اربعة ملايين من العبيد بكلمة واحدة من قلمهِ لما صار رئيساً للولايات المتحدة وهو مثال لنا نحن الذين نرى ويلات الحروب ويُطلَب منا ان نبذل جهدنا في انقاذ بني نوعنا منها ولم نفلح حتى الآن لاننا لم نضع هذا الغرض نصب عيوننا ولم نبذل في تحقيقهِ كل جهدنا . فلنعزم على ابطال قتل الناس كما عزم لنكن على ابطال بيعهم ونجعل هذا المطلب فوق كل المطالب ونواظب عليهِ الى ان تزول الحروب من الدنيا وتتوطد دعائم السلم (انتهى باختصار قليل)

بعض القبريات المصرية العربية

اطلع الدكتور ريط استاذ اللغة العربية في مدرسة كمبردج الجامعة على سبعة عشر لوحًا من الواح القبور القديمة وجدت في مقبرة مهجورة في صعيد مصر ونقلت الى دار التحف البريطانية ويمتد تاريخها من سنة ٢٢٥ للهجرة الى سنة ٤٥٥ اي من بداءة عهد ابن طولون الى زمن المستنصر الفاطمي حين حدثت المجاعة العظيمة في الديار المصرية فقرأها كلها ونشر قراءتها وترجمتها في مجلة الجمعية الاركيولوجية سنة ١٨٨٧ وقال ان الاثنين الاولين منها خطها شبيه بالخط النسخي لكنهُ خالٍ من النقط والبواقي خطها كوفي وفيها قليل من الخطإِ الصرفي والنحوي . وقد رأينا ان ننشر ما قرأهُ فيها استطرادًا لباب القبريات الذي نشر في الاجزاء الماضية واظهارًا للاسلوب الذي كان الناس يجرون عليهِ في كتابة قبورهم ولو كانوا من عامة الصناع

١

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا قبر ازهر بن عبد السلم بن اسحق بن قاسم رحمة الله ومغفرتهُ ورضوانهُ عليهِ توفي يوم الخميس لخمس ليالٍ بقين من جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسين ومائتين

٢

بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفوءا احد هذا قبر محمد بن صباح مولى حسن المدلجي توفي في سلخ شعبان سنة احدى وتسعين ومائتين

٣

بسم الله الرحمن الرحيم . تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورًا اللهمَّ صلي (١) على محمد النبي وآلهِ الطاهرين وارحم عبدك اسحق بن يعقوب بن اسحق بن ابرهيم توفي يوم الاحد لخمس بقين من جمادى الآخر سنة ثمان واربع مائة

٤

بسم الله الرحمن الرحيم. قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يُولد ولم يكن لهُ كفوءا أحد اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ وارحم فاطمة بنت جعفر بن محمد الصباغ توفيت يوم الاحد مستهل جمادى الآخر سنة اثنتي عشرة واربع مائة

---

(١) كلمة صلِّ مكتوبة بالياء حيثما وردت . وهناك مخالفات اخرى سنشير اليها

٥

بسم الله الرحمن الرحيم .هذا بلاغ للناس ولينذروا بهِ وليعلموا ان ما هو الهٌ واحد وليذكر أُولو الالباب اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ وسلم تسليماً وارحم عبدك الفقير الى رحمتك جعفر بن احمد بن علي بن محمد بن قاسم بن عبد الصمد توفي يوم الخميس لستة ايام خلون من المحرم سنة ثمانية عشر واربع مائة رحمة الله عليهِ ورضوانهُ

٦

بسم الله الرحمن الرحيم . ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون اللهمَّ صلي علي محمد النبي وآلهِ الطاهرين وسلم قضى نحبهُ ابرهيم بن الحسين بن اسحق بن يعقوب بن اسحق يوم السبت لثمان بقين من ربيع الاخر سنة عشرين واربع مائة

٧

بسم الله الرحمن الرحيم . كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ وارحم فاطمة بنت علي بن عبد الله بن جنادة توفيت يوم الاثنين لثمان بقين من جمادى الآخر سنة عشرين واربع مائة

٨

بسم الله الرحمن الرحيم . يبشرهم ربهم برحمة منهُ ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدًا ان الله عندهُ اجر عظيم اللهمَّ صلي على محمد النبي وعلى آلهِ الطاهرين وارحم عبدك الفقير الى رحمتك يحيي بن احمد بن علي بن محمد بن قاسم بن عبد الصمد بن يحيي بن بدر توفي يوم الاثنين لثلاثة ايام تبقى من صفر سنة اثنين وعشرين واربع مائة

٩

بسم الله الرحمن الرحيم . اصحاب الجنة يومئذٍ خير مستقرًا واحسن مقيلاً اللهمَّ صلي على محمد النبي وعلي آلهِ الطاهرين وارحم حبيبة بنت علي بن احمد بن عبيد الله القرموسي الادفوي توفيت في مستهل شوال من سنة ثلاث وعشرين واربع مائة

١٠

بسم الله الرحمن الرحيم . تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورًا اللهمَّ صلي على محمد النبي وعلى آلهِ الطاهرين وارحم عبدك

ابن ٠٠٠٠ حسن بن قبال مولى هبيرة بن حسين بن هبيرة توفي يوم الاحد مستهل ٠٠٠٠ سنة اربع وعشرين واربع مائة

١١

بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفوًا احد اللهمَّ صلي علي محمد النبي وعلى آلهِ الطاهرين وارحم ميا بنت علي بن احمد بن اسحق توفيت لعشر بقين من ربيع الاول من سنة سبع وعشرين واربع مائة

١٢

بسم الله الرحمن الرحيم . سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورًا اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ الطاهرين وسلم وارحم عبدك الفقير الى رحمتك اسمعيل بن الحسين بن اسحق بن يعقوب بن اسحق قضي نحبهُ يوم الاثنين لاثنين وعشرين خلون من رجب سنة احدى وثلاثين واربع مائة رحمة الله عليهِ ومغفرتهُ ورضوانهُ .

١٣

بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفوًا احد اللهمَّ صلي على محمد النبي وعلى آلهِ الطاهرين وارحم عبدك الفقير الى رحمتك هرون بن يحيى الصائغ بن ٠٠٠٠ بن غرتسيانو توفي يوم الاثنين لثمان خلون لشهر رمضان سنة اثنين وثلاثين واربع مائة

١٤

بسم الله الرحمن الرحيم . كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الاَّ متاع الغرور اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ وارحم امتك الفقيرة الى رحمتك فاضلة ابنة محمد بن عبد الله ابن علي المعروف بالوادي توفيت في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان من سنة ثلث واربعين واربع مائة

١٥

بسم الله الرحمن الرحيم . تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرًا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورًا اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ الطاهرين وارحم عبدك الفقير الى رحمتك محمد بن عبيد الله بن موسى بن عبيدالله بن عبيد توفي يوم الاثنين الاربعين [العشرين] من شهر رمضان سنة خمس واربعين واربع مائة

١٦

بسم الله الرحمن الرحيم . قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن لهُ كفواً
احد اللهمَّ صلي على محمد النبي وآلهِ الطاهرين وارحم امتك الفقيرة الى رحمتك بركة ابنة
حسين بن رزق الله بن علي بن حسين بن داود الصائغ توفيت يوم الا .... ا....)
خلون من صفر ه (ن سنة خم)س وخمسين وار(بع مائة)

وعلى الحاشية ما يأتي

وهي تشهد ان لا اله الاَّ الله وحدهُ | لا شريك لهُ وتشهد ان محمدًا عبدهُ (ورسولهُ)
ارسلهُ | بالهدى ودين الحق ليظهرهُ على الدين كلهِ ولو كره المشركون

١٧

بسم الله الرحمن الرحيم . كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اللهمَّ
صلي على محمد النبي وعلى آلهِ الطاهرين وارحم عبدك عبدالله بن عيسى بن عبد الله بن احمد
بن علي بن محمد بن قاسم توفي لسبع خلون من شعبان سنة اثنتي عشرة واربعمائة

هذا ومما يستحق الالتفات ان الامر "صلِ" مكتوب بالياء حيثما ورد . وكلمة رحمة وابنة بالتاء المبسوطة . وكلمة مئة بالالف هكذا ماية . والكلمة تقسم في آخر السطر فيوضع قسم منها في السطر الواحد وقسم في السطر التالي . والكلمات رحمن وابرهيم من غير الف وألو بالالف بعد الواو وهكذا الوا . وتذكير العدد مع المعدود المؤنث وتأنيثهُ مع المذكر غير مضطردين . والفعلان قضى ويبقى بالالف المبسوطة . وكتبت اللام بدل من في القبرية الثالثة عشرة ولكنها اقصر من اللام العاديَّة

والايام ونسبتها الى الشهور قلما وقع فيها اختلاف الاَّ في يوم واحد اذا قوبلت بجداول المرحوم مختار باشا المصري. فسنة ٢٥٢ انتهى شهر جمادى الاولى فيها يوم الاثنين فيوم الخميس كان قبل آخرهِ بخمسة ايام كما في القبرية الاولى . وكان مستهل جمادى الاخرى سنة ٤١٢ يوم الثلاثاء ولكن كان مستهل جمادى الاولى يوم الاحد كما في القبرية الثالثة ولذلك نرجح انها قرئت "الاخرى" خطأً وهي الاولى . واستهل محرم سنة ٤١٨ يوم السبت فكان يوم الخميس في ستة منهُ كما ورد في القبرية الخامسة . وسنة ٤٣١ كان مستهل رجبها يوم الثلاثاء ولذلك وقع يوم الاثنين في ٢١ منهُ لا في ٢٢ منهُ كما في القبرية الثانية عشرة . ولكن اختلاف يوم واحد لا يعتدُّ بهِ كما لا يخفى

معركة بلاكلافا

من اعظم الحروب في القرن الماضي حرب روسيا والدولة العثمانية المعروفة بحرب القرم . واشهر معارك تلك الحرب معركة بلاكلافا وهي التي نظم فيها تنيسون الشاعر الانكليزي قصيدتهُ المشهورة ولا يزال جمهور الانكليز يتغنون بمدح ابطالها الذين ذهبوا ضحايا البسالة والخطاء معاً. وهاك وصفها من قلم جنديّ قاتل فيها وكان احد الافراد القلائل الذين سلموا من القتل وهو لا يزال حيًّا يرزق . قال

كان اليوم الخامس والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٥٤ وكانت جنود الدول المتحالفة وهي انكلترا وفرنسا وتركيا تحصر سبستبول وقد اتخذت بلاكلافا قاعدة لاعمالها . وبلاكلافا هذه فرضة في شبه جزيرة القرم على البحر الاسود جنوبي سبستبول . وكان على مقربة منها جيش روسيٌّ عدتهُ ثلاثون الفاً وغايتهُ رفع الحصار عن سبستبول باجلاء الانكليز عن بلاكلافا . فزحف علينا واستولى على بعض المدافع التي في معاقلنا وحاول نقلها من اماكنها فصدَّهُ السر جيمس سكارلت عن عزمهِ باورطتهِ المسماة "هفي بريجايد" . ولكن المدافع كانت لا تزال في خطر فأمر اللورد لوكان اورطتهُ المسماة "ليط بريجايد" ان تحمل على الروس وتمنعهم من اخذها

فحمل فرسان هذه الاورطة حملتهم المشهورة التي خلدت اسمهم على صفحات تاريخ الحروب وفي دقائق قليلة قتل نصفهم . وكان غرض الروس كما قلت سابقاً الاستيلاء على بلاكلافا ولكنها كانت معزَّزة بالحصون والقلاع وكان في مينائها بارجة انكليزية تنتظر اول اشارة لتمطر الاعداء وابلاً من قنابلها

وكنا قد عقدنا النية على مهاجمة الروس في الثاني والعشرين والثالث والعشرين من الشهر ولكن لم يتمَّ لنا ما عقدنا النية عليهِ حتى اليوم الذي نحن بصددهِ . وكنا على الدوام وقوفاً بجانبين جيادنا نتحفز لركوبها عند اول اشارة ولا نعود الى معسكرنا الاَّ وقد أمعنا في الليل . وكانت عادة الفرسان في اوان الحرب ان يباكروا خيلهم قبل بزوغ الفجر بساعتين ففعلنا كذلك يومئذٍ وكان الهواءُ بارداً والجوُّ مكفهرًّا قمطريرًا

وبينما نحن نتأهب للهجوم وقد نفد صبرنا من الانتظار اذا بصوت البوق يشق العنان معلناً هجوم الروس علينا فبادرنا نحو المعاقل الثلاثة التي وجَّه الروس حملتهم اليها وكان فيها

حفنة من طوبجية الانكليز والاتراك وما هو الاَّ القليل حتى كانت قنابل الروس تتساقط علينا او تمرُّ فوق روُّوسنا

وكنت على ظهر جوادي أرقب حركات صفوف الروس الامامية وهي تتقدم منا وقنابلنا تفتك بها حتى سقط كثيرون منها قتلى وجرحى . ولم يمضِ الاَّ القليل حتى تبين لنا انها استولت على معاقلنا واستحكاماتنا وما فيها من المدافع ووجهت رصاصها الينا. ولم تكد تستولي عليها حتى رأينا فلول الترك الذين فيها قد فرُّوا منها مختلطين اختلاط الحابل بالنابل وسدَّدوا خطواتهم الينا وهم يصيحون "بونو بونو جوني" وجوني هو الاسم الذي كانوا يسمون الانكليز بهِ في تلك الحرب فكانت جنودنا تجيبهم "نو بونو" وهي تحرّق الارَّم عليهم

وكانت البطرية الاولى من الطوبجية الملكية قد مرَّت بنا هاجمة على الروس ثم لم تمضِ دقائق كثيرة حتى رأيت قائدها محمولاً الى الساقة وقد بترت ذراعهُ او ساقهُ لاني لم أرهُ جليًّا . ولما رأى ضباطنا ان الروس شرعوا يطلقون النار علينا من الاستحكامات التي اخذوها منا امرونا بالتقهقر الى معسكرنا في بلاكلاڤا فتقهقرنا ومدافع الروس تضرب في اقفيتنا وفرسانهم يجدُّون في اثرنا . فتأهبت اورطة "الهڤي بريجايد" لمصادمتهم بقيادة السر جيمس سكارلت وهي من الفرسان ايضاً . وكان فرسان الروس قد اطلقوا الاعنة لجيادهم فسارت تنهب الارض وراءنا واذا بجنود "الهڤي بريجايد" قد فاجأتهم فلما تبينوها خففوا سيرهم ولكن جنودها وعدتها ٦٠٠ فارس اغارت عليهم وبددت شمل ثلاثة آلاف منهم واخترقت صفوفهم ومدافعها تحصد فيهم قتلاً وجرحاً

اما نحن فرسان "الليط بريجايد" فكنا منحرفين كثيرًا الى الميسرة فلم نرَ تفصيل الحملة وانما رأينا اوائلها ثم لم نعد نرى شيئًا بل كنا نسمع جلبة القتال فقط ولو اننا هجمنا حينئذٍ على ميمنة الروس لكنا أبدنا جموعهم لا محالة

ثم سكنت الجلبة فظننا ان المعركة انتهت وأُمرنا باحتلال بقعة مرتفعة في صدر الوادي ففعلنا ثم ترجلنا ووقفنا كلٌّ وجوادهُ مدة قصيرة . وبينما نحن كذلك اذا بالكبتن نولان قد اقبل وهو ينهب الارض بجوادهِ ودنا من اللورد لوكان قائدنا وكلمهُ فلم اعلم ما قال لهُ لاني كنت بعيدًا عنهما وانما اعلم اننا أُمرنا ان نمتطي جيادنا ونهجم على الروس . فأطعنا الامر ولكننا لم نتقدم مئتي خطوة او ثلاث مئة حتى اصلانا الروس نارًا حامية من ثلاث بطريات في كلٍّ منها عشرة مدافع بطرية عن يسارنا وبطرية عن يميننا وبطرية في اسفل الوادي امامنا وكانت كلها من مدافع الميدان واقوى من مدافعنا. ففتكت بنا فتكًا ذريعًا واول رجل

قتل منا كان الكبتن نولان الذي نقل الامر بالجملة صوابًا او خطاءً فقد اصابت شظية قنبلة صدرهُ فسقط عن جوادهِ وهو يصيح ولكنَّ احدى قدميهِ بقيت ناشبة في الركاب فجرَّهُ جوادهُ مسافة طويلة

وكانت فرساننا تحمل على الاعداء في ثلاثة صفوف الاول بقيادة اللورد كارديجان والثاني بقيادة الكولونل دوجلاس والثالث بقيادة اللورد باجت . وكان قسم من جنود الصف الاول يحملون السيوف وبقية الجنود تحمل الحراب والمسافة بين المكان الذي خرجنا منهُ وبين ابعد مدافع الروس عنَّا نحو ميل وربع . وكانت النيران المصبوبة علينا من الجانبين شديدة السعير حتى اننا لما بلغنا اسفل الوادي لم يبقَ منا الاَّ نحو مئة فارس على ظهور خيلهم

وعند وصولنا الى المدافع وجدنا ان الطوبجية ربطوها الى الخيل وجعلوا يتقهقرون بها رويدًا رويدًا فطرنا اليهم واحدقنا بهم من كلّ جانب وحينئذٍ جرت افظع وقائع المعركة فان الطوبجية حاولوا الفرار بالزحف تحت مركبات المدافع ولكن سائقي خيلها لم يكن لهم من الوقت مهلة ما يترجلون عنها فاعملنا فيهم سيوفنا ورماحنا وتحوَّل بعضنا عنهم الى الطوبجية وفعلوا بهم ما فعلناهُ باخوانهم حتى لم ينجُ من رجال البطرية مخبر ولم يبقَ حصان حيًّا

وبعد استيلائنا على المدافع بقليل رأى ضباطنا الروس يجمعون جموعهم ويوجهونها الينا ليحرمونا ثمرة انتصارنا . وحانت من اللورد باجت التفاتة الى صدر الوادي وراءنا فرأى جيشًا من رمّاحة الروس فظنهم من الانكليز لبعدهم فنادى قائلاً ها قد اتتنا النجدة . فصاح بعض رجالنا قائلين انهم روس فادرك اللورد حرج الموقف اذ ذاك ورأى ان لا مناص لنا من ان نتقهقر مخترقين صفوفهم اذ لم نكن نتوقع مددًا ولم يكن في طوقنا جرُّ المدافع . ولو بقينا حيث كنا لمزقونا اربًا وجرى بنا ما جرى بسائر اورطتنا

فأدرنا رؤُوس خيلنا واطلقنا لها العنان ولكنها كانت خائرة القوى من فرط ما لاقت من العناء فلم نستطع حثَّها على الجري الشديد . ولما دنونا من الروس رأَيت ضباطهم يشيرون اليهم بسيوفهم ان يطبقوا علينا ويكتنفونا حتى لا نجد لنا مخلصًا ولكن لاَح لي انهم لم يدركوا مراد ضباطهم او انهم كانوا يخشون ان يصدعوا بامرهم . فاخترقنا صفوفهم ودار الطعن والضرب بيننا وبينهم كلُّ ذلك ومدافعهم مصوبة الينا تحصد فينا بلا تمييز بين عدوٍّ وصديق فاضرَّت بهم اكثر مما اضرَّت بنا لكثرتهم بالنسبة الينا

اما نحن فلم ينجُ منا الاَّ كلُّ طويل العمر ولو لم ينجدنا بعض خيالة الفرنسويين في الآخر ويسكتوا بعض مدافع الروس ما نجا منا مخبر . وكان عددنا بين ست مئة وسبع مئة فقتل منا

٢٤٧ وقتل من خيلنا ٤٧٥ فرساً وجرح ٤٢ فبقي الاحياءُ من فرسانها في الوادي حينما عدنا ثم عادوا الينا فرادى وازواجاً

ورأَيت رفيقاً لي وانا عائد وهو يكاد يقع عن ظهر جوادهِ فسأَلتهُ عن امرهِ فقال ان رمية اصابت رجلهُ فقلت لهُ تمكَّن في سرجك واخذت لجام فرسهِ بيدي وسرت مع بقية الفرسان فنجونا كلانا وأُرسل هو الى المستشفى ثم اتاني منهُ كتاب بعد حين يقول فيهِ انهُ بلغهُ انني رُقيت وساصير جنرالاً فاجبتهُ نعم اني على الطريق قد صرت اونباشياً

ولا يزال الخلاف قائماً على كيفية وقوع الخطاء في الامر وعلى ما اذا كان البوق قد امر بالحملة ام لا . فقد كان الامر اولاً "سيروا" ثم "تقدموا الخبب" ولما رأى رجالنا انهم بانوا هدفاً للنيران الآكلة لم يطيقوا صبرًا على تلك الحال فاطلقوا لجيادهم الاعنة وحملوا تلك الحملة الهائلة . ولكنني لم اسمع البوق يأمر بالحملة ولا سمع ذلك غيري من الذين شهدوا المعركة ولا يزالون احياءً يرزقون

واسهب الكاتب في وصف فظائع تلك المعركة وشراسة الانسان اذا ثارت فيهِ القوة الغضبية وقلة جزاء الدول لابنائها الذين يسفكون دماءَهم في سبيلها . وذلك كلهُ من الامثلة الكثيرة على فظاعة الحروب وعلي جنون الناس الذين لا يزالون يعوّلون عليها للفصل في خصوماتهم

وراثة الذاكرة

ملخص مقالة نشرت في مجلة القرن التاسع عشر بقلم القس فوربس فيلبس

قلما نرى احدًا الَّا ويخبرك انهُ زار مكانًا لم يزرهُ من قبل او رأى منظرًا لم يرهُ من قبل فلم تدهشهُ تلك الزيارة ولا تلك الرؤْية كأَنهما شيئان عاديّان لا جديدان فيقول في نفسهِ "يلوح لي اني عرفت هذا المكان ورأَيت هذا المنظر قبلاً فوراءَ تلك الهضبة قرية وفي آخر هذا الشارع ساحة" ويكون كذلك . واني قاصٌّ ما خبرتهُ بنفسي من هذا القبيل فاقول

زرت رومية منذ عشر سنوات لاول مرة فلما رأَيت بعض آثارها القديمة المشهورة مثل حمامات كركلاً والكولوسيوم (مشهد الالعاب الرومانية) وسراديب كالكستوس وغيرها خيّل لي اني رأَيتها قبلاً فلذلك لم تدهشني رؤْيتها فقلت لعلَّ السبب في ذلك اني رأَيت صورها

قبلاً ولكن هذا يفسرّ منظرها الخارجي ولا يفسرّ منظرها الداخلي . وبعد ايام قليلة ذهبت الى تيفولي فلما وصلتها ورأيتها هي وما حولها من الضواحي كنت كانني لم أرَ منظرًا جديدًا بل كأنني أرى قرية ولدتُ وربيت ونشأت فيها . فجعلت أصف لرفاقي ما كانت عليهِ في القدم وصفًا مطولاً دقيقًا ولم اكن قد قرأت عنها شيئًا فاستدلُّوا اني درست تاريخها درسًا خصوصيًّا ثم أخذ ذلك المنظر يتوارى من مخيلتي فلم أعد استطيع ان اقول شيئًا جليًّا عنهُ بل بقيت فيها ذكرى اشياء متقطعة لا يشفي وصفها علة ولا يروي غلة

وزرت مرة أُخرى انا ورفيق لي مكانًا في انكلترا لم نزرهُ قبلاً فقال في عرض حديثهِ معي " يقولون ان في هذه الناحية قسمًا من طريق رومانية قديمة ولكنني لا اعلم هل هي في هذه الجهة او الجهة المقابلة " فقلت " انا اعلم " ومشيت امامهُ وانا موقن اني مهتدٍ الى غرضي لا محالة وكان كذلك . فشعرت حينئذٍ اني زرت ذلك المكان من قبل فارسًا مدرَّعًا

فهاتان الحادثتان وامثالها حملتاني على مخاطبة اصدقائي في هذا الموضوع فقصَّ عليَّ كثيرون قصصًا تشبهُ ما جرى لي تمامًا وهاك ما جرى لقسيس بمرأًى مني ومسمع . فانهُ زارني ذات يوم وطلب مني ان ارافقهُ الى حصن روماني قديم يبعد نحو اربعة اميال عن مسكني لمشاهدة خرائبهِ وقال انهُ يتذكر انهُ كان يسكن هناك في زمن من الازمان وانهُ كان كاهنًا في عهد احتلال الرومانيين لانكلترا . على ان ما ادهشني تشديدهُ في فحص خرائب برج هناك قائلاً " انهُ كان في اعلاهُ نقرة كنا نركز فيها سارية وكان رماتنا يُصعَدون الى رأسها في سلال مبطنة بالجلد ليرموا زعماء القبائل البربرية بنبالهم ايام الحصار " . فوجدنا النقرة كما قال

ومن المسائل التي أكثر من سؤَالها للذين اجتمع بهم عند البحث في هذا الموضوع هو " ألم تشعروا البتة عند رؤيتكم مكانًا لاول مرة انكم رأيتموهُ قبلاً " فكان ٣٠ في المئة يجاوبونني بالايجاب . وكان قليلون يترددون في الجواب خوف الهزء والسخرية او خوف ان يكونوا قد اخطاوا المراد من سؤَالي

⁂

هذا وان تذكر هذه الحوادث وامثالها يختلف كلَّ الاختلاف عن تذكرنا لحنًا قديمًا عند سماعنا اياهُ يغنى بعد ان كدنا ننساهُ وعن تذكرنا وجه رجل عرفناهُ قبلاً ثم كاد طول الزمان يمحو أثرهُ من ذاكرتنا . فاننا عند سماعنا ذلك اللحن ورؤيتنا ذلك الوجه نأخذ نتذكر تدريجًا انهما من محفوظات اختبارنا الماضي وانما نسجت عليهما عناكب النسيان. واما تذكرنا

الحوادث المذكورة آنفاً فشعور فجائي باننا وُجدنا في زمن ماضٍ في مكان لا نعلمهُ ورأينا تلك الحادثة واشتركنا فيها بوجه من الوجوه

وليس هذا الامر الغريب من تخيلات الشعراء او احلام النائمين ولا هو بالامر الحديث عهدهُ . فقد نشأ في الشرق مهبط الوحي ومصدر الاديان وكان لهُ فلاسفتهُ وشعراؤهُ وهو ظاهر كل الظهور في البوذيَّة والديانة المصرية القديمة . وقد بحث افلاطون فيهِ وسماهُ تذكر الوجود السابق او الاشياء التي عرفت قبلاً ونُظرت . وفسرهُ اليهود والفريسيون بما مآلهُ ان الابرار يستطيعون ان يعيشوا ثانية كما نصَّ عليهِ يوسيفوس . وكان البعض يعتقدون ان يوحنَّا المعمدان انما هو ايليا متجسدًا ثانية كما ورد في الانجيل . وبحث آباء الكنيسة المسيحية الاولون فيهِ فسموهُ تارةً التقمص او التناسخ وطورًا التجسد واعتقد بعضهم ولا ريب ان امثال الحوادث المذكورة آنفاً انما تفسر بالوجود السابق . وذكرهُ كثيرون من علماء الالمان مثل لسنج وهيجل وليبنتز وهردر ونختي . ومن شعراء الانكليز مثل شلي ووردسورث . قال وردسورث "ان ميلادنا انما هو نوم ونسيان والروح التي تطلع معنا وهي كوكب حياتنا قد غابت قبلاً في مكان آخر واتت من منزل بعيد"

⁂

وبعد ان ذكر كاتب المقالة هذه الحوادث وامثالها تقدَّم الى بيان سببها الطبيعي فقال عندي سؤَال اسألهُ في هذا المقام وهو ألا يمكن ان يكون هناك شيء نسميهِ وراثة الذاكرة . فان الولد قد يرث بعض ملامح ابويهِ وصفات جدّهِ افلا يمكن ان يرث شيئاً من ذاكرة اسلافهِ. او لا يمكن ان تكون تلك التذكارات تنبُّه شيءٍ موجود في دمائنا كان نسياً منسيًّا فلما صادف الاحوال الملائمة لهُ ظهر من عالم الخفاء . فاذا صحَّ ذلك فان لنا في وراثة الذاكرة حلاً طبيعيًّا لكثير من الاسرار التي تعرض لنا في حياتنا من غير ان نلجأ في حلها الى الوحي والالهام

ومن المعلوم ان كثيرًا من اخلاق السلف الاول وصفاتهِ انطبع على اذهان خلفهِ حتى ان ما كان في بادىء الامر ارادة بات الآن حركةً غير اختيارية . ألا تراني اذا مشيت في طريق منفردة مظلمة انظر ذات اليمين وذات اليسار ومن فوق كتفي . فكيف اعتدت هذه العادة ألا يمكن ان تكون قد اتصلت اليَّ بالارث من السلف. فان السلف المتوحش تعلَّم باختبارهِ الطويل ان يكون على حذرٍ اذا جاز مكاناً منفردًا مظلماً

واذا لعبت براسي سورة الغيظ والحنق تكربشت يداي وتوترت شفتاي وكشرت عن

اسناني كمن يتحفز للوثوب وهذا كان شان السلف الاول عندما كان يثب على عدوّ ليمزقهُ باسنانهِ واظافرهِ . وقد طالما لحظت انهُ اذا وصف احد شيئًا بقولهِ انهُ كريه الرائحة فتح منخريهِ وحرَّك انفهُ حركة غير اختيارية كأَنهُ يتذكر قطعة جيفة ادناها السلف من انفهِ ليشمها قبل اكلها فعافتها نفسهُ لخبث رائحتها والقاها الى الارض مشمئزًّا منها . زار داروِن ذات يوم حدائق الحيوانات في لندن ثم قال " وقفت امام صلٍ وضع في صندوق من الزجاج السميك وانا عازم كلَّ العزم الَّا أَنكص الى الوراء اذا وثب الصلُّ عليَّ (لان بينهما الزجاج السميك). فلما جمع نفسهُ ووثب وثبتهُ المعهودة خانتني عزيمتي ونكصت الى الوراء بضع خطوات بسرعة غريبة وذلك لان وهمي كان اضعف من ارادتي وادراكي "

وفي خلال كل يوم نبدي حركات واشارات مختلفة بلا انتباه لها ولا نخطئُ فيها لان العادة تقينا من الخطاء . فاني انهض صباحًا من فراشي واغتسل والبس ملابسي وانا لا اكاد اشعر بما فعلت. وذلك لان كل خلية من خلايا الدماغ اتقنت وظيفتها حتى اصبحت قادرة على اتمامها بلا مشاورة العقل ونشأَ في الذهن آلة فرعية تتمُّ وظيفتها بنفسها وتمتزج بطبيعتنا حتى تصير وراثية . وعلى هذا المنوال نعتاد رؤية مكان حتى تنطبع صورتهُ في ذهننا ويتوارثها الخلف عنا

ولقد سمعت غير مرة اناسًا يحتضرون وهم يقولون " يخيَّل لنا ان ما يجري الآن قد جرى ايضًا في حياتنا سابقًا مع علمنا ان ذلك ليس بصحيح ولكننا نحاول تذكرهُ فلا نستطيع" والسبب في ذلك ان في اعماق الذاكرة اثرًا يُعَدّ الامر الحاضر امامنا صورة لهُ

ثم اننا نحلم باشياء لم نرها ولا سمعنا بها ولا وقعت تحت اختبارنا في ساعات يقظتنا . حلمت ذات ليلة انني اشهد معركة وانا في اورطة من الفرسان وقد أُمرنا بالهجوم وكان بجانبي فارس اتذكر الآن صورة وجههِ جليًّا حتى لو كنت مصوّرًا لاستطعت تصويرهُ . وللحال تفرق العدوُّ امامنا شمالاً ويمينًا واذا ببطرية مدافع قد استقبلتنا من الامام بنيرانها وعقد الدخان والعثير سحائب فوق رؤُوسنا وبتنا نسبح في بحر من الحديد والدماء . فاستفقت اذ ذاك مذعورًا وانا اصيح قائلاً " اعوذ بالله اني لم ارَ مثل هذا قبلاً " فهذه الحادثة بمنظرها الرائع جرت لاحد اسلافي بلا ريب فتوارثوها خلفًا عن سلف . وقد طالما خطر ببالي ان احلامنا تصورات حقيقية ورثناها وان تكن على الغالب اضغاثًا لا ارتباط فيها ولا معنى لها

ومثل ذلك يقال في رؤية الخيالات فان زيدًا يرى خيالاً ويقابل بينهُ وبين صور اسلافهِ فيظن انهُ خيال واحد منهم لانهُ يشبههُ وتعليل ذلك ان احد اسلافهِ رأى رجلاً في القرون السالفة وكانت رؤيتهُ اياهُ على صورة اثرت في ذهنهِ تأْثيرًا شديدًا فانتقلت الى زيد بالوراثة

الخرافات وشيوعها

اغرب ما يشاهد في هذا الخلق تسلُّط الخرافات على العقلاء والفهماء من افرادهِ في كل عصر وملة ولا سيما في عصور المدنية والعلم والعرفان . فقد كان يوليوس قيصر يزعم ان لبس جلد عجل البحر يقي لابسهُ من الصواعق . وكان يتشاءم من وضع قدمهِ اليسرى على قدمهِ اليمنى سهوًا وهو جالس ويتوقع خطبًا جللاً من جرى ذلك

ويروى ان رجلاً من بطانة الملك ادورد السادس شكا اليهِ ان في احدى مدارس كمبردج رئيسًا واثني عشر عضوًا وذلك يقابل المسيح وتلاميذهُ الاثني عشر ونصح لهُ ان يلغي عضوية واحد او اثنين منهم . اما الملك فداوى الحال بزيادة عضو آخر فصار عدد الكل اربعة عشر . ولا يزال الاوربيون يتطيرون من العدد ١٣ الى هذا اليوم حتى اشرافهم واعيانهم وعليهِ فلما وُلد ملك اسبانيا الحاليّ وسمي الفونس الثالث عشر باشارة امهِ لم يستصوب كثيرون من رجال البلاط هذا الاسم مع ان عرّاب الملك كان البابا لاون الثالث عشر وكان من اسعد البابوات ولم يقف اسمهُ عثرة في سبيلهِ

وكانت ملكة ايطاليا السابقة من اشدّ الناس تشاؤمًا بالعدد ١٣ فكانت لا تجلس حول مائدة عدد الآكلين عليها ١٣ واذا كان يوم استقبالها اوصت التشريفاتي ان ينتبه لهذا الامر ويمنع ان يكون عدد الذين في قاعة الاستقبال ١٣ . واتفق ذات يوم أن دُعي للعشاء على مائدة الملك وكان عدد المدعوين ١٤ والملك والملكة من الجملة فحدث لبعض المدعوين ما منعهُ من الحضور فنهض التشريفاتي المشار اليهِ عن المائدة وهمّ بالخروج من الغرفة حرصًا على راحة بال الملكة فلما رأى الملك منهُ ذلك ناداهُ مغضبًا " مكانك . فان من يجلس على مائدتي لا لا ينهض عنها قبلما يتناول طعامهُ " فعاد الى مكانهِ واكل وكان عدد الآكلين ١٣ والظاهر ان الملك لم يكن يدري بسرّ الملكة والاَّ لم يفعل ما فعل

وكان الملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا يتفاءل بيوم الجمعة خيرًا فكان يبدأ كلّ مشروع من مشروعاتهِ في ذلك اليوم . وكان كثيرون من اهالي اوربا في الاعصر الوسطى لا يقلمون اظافرهم يوم الجمعة تطيرًا . ولا تزال هذه الخرافة مستولية على بعض اهالي فرنسا في هذا العصر فانهم لا يقلمون اظافرهم في الايام التي في اسمائها حرف (r) وهي ثلاثة الثلاثاء والاربعاء والجمعة . اما اهل هولندا فيعتقدون ان من يقلم اظافرهُ يوم الجمعة يسلم من وجع الاضراس

واهالي المكسيك يتشاءمون من يوم الثلاثاء وعليهِ جاء في احد امثالهم ما ترجمتهُ "في يوم الثلاثاء لا تتزوج ولا تسافر ولا تفترق عن اهل بيتك" وهذا هو اعتقاد الاسبان ايضاً

وكان نبوليون بونبارت كثير الخرافات على سعة عقلهِ وحدة ذهنهِ يعتقد بالعين وان مجرد نظر انسان عينهُ شريرة الى طعام امامهُ كافٍ لدسّ السمّ فيهِ . روي ان السر هدصن لو محافظ جزيرة القديسة هيلانة ايام نفي نبوليون اليها كان جالساً ذات يوم على مقعد بازاء الامبراطور وبينهما مائدة عليها فنجان ملآن قهوة فأمر نبوليون بان ترمى القهوة من الشباك وابان في مذكراتهِ سبب ذلك فقال "لم ارَ اقبح من صورتهِ (اي صورة لو) وقد اثرت في نفسي تأثيرًا سيئًا حتى خيل لي ان نظرتهُ الى القهوة دسّت السم فيها فلم أجسر على شربها"

وروى المسيو كونستان احد اتباع نبوليون ان سيدهُ كان ذات يوم ماسكاً مرآة بيدهِ وهو في غزوة ايطاليا فانكسرت ووقعت شظاياها على صورة لجوزفين امرأتهِ فانفذ على عجل ساعياً يستعلم عن صحتها ويتحقق سلامتها ولم يطب لهُ عيش حتى عاد الساعي يحمل اليهِ بشائر الاطمئنان

وكان كرومول يعتقد ان الثالث من سبتمبر يوم نُعم لهُ لانهُ انتصر فيهِ في دنبار وورسستر. ومن غرائب الاتفاق انهُ مات فيهِ ايضاً

وكان السر ولترسكوت الروائي الانكليزي الشهير يعتقد بحدوث حوادث خارقة العادة كظهور الجن وتعرضهم للانس في حركاتهم وسكناتهم . روي انهُ كان نائماً ذات ليلة فاستفاق من نومهِ مذعورًا اذ خيّل لهُ انهُ سمع جلبة في الطبقة السفلى من المنزل الذي كان يقطنهُ فتقلد سلاحاً ونزل الى حيث سمع الصوت فلم يرَ احدًا ولم يسمع صوتاً . وفي الليلة التالية سمع جلبة في المكان نفسهِ وفي الساعة نفسها . وكان صديق لسكوت قد مات في الليلة الاولى التي سمع فيها الاصوات الغريبة فكتب سكوت الى صديق آخر يخبرهُ بوفاة صديقهِ وبما سمع من الاصوات ويقول ان تلك الوفاة من الخوارق وانهُ لم يكن في المنزل إنس حين سمع الجلبة

ومن اكثر الخرافات شيوعاً في اوربا بعد خرافة العدد ١٣ ما يتعلق بالملح . قال بعضهم ان رشق انسان لآخر بالملح يعدُّ فألاً قبيحاً كأن يشير مثلاً الى موت احد من عائلة الرجل الذي رشق الملح او ينبئ بنكبة تصيبهُ قريباً او يفضي الى تقاطع الاصدقاء . وسمعنا بعض العامة في الشام يقولون ان من أُلقى الملح على الارض جمعهُ باهدابهِ يوم القيامة

وبالضد من ذلك هرق الخمر فانهُ فأل مليح عندهم . ومثل هرق الخمر عند الاوربيين

هرق القهوة في بعض بلاد المشرق . فكثيرًا ما سمعنا الناس يقولون اذا انصبّت القهوة من الفنجان " ان كبَّ القهوة خير " ولعلَّ اصل هذه الخرافة تعزية من انصبت القهوة على ثوب نفيس لهُ او رياش فاخر فاتلفتهُ . وفي بعض انحاء لبنان يريقون القهوة امام موكب العروس في حفلة زفافها تفاؤلاً

ومن قبيل التشاؤُم بالعدد ١٣ ما ذكر عن الكاتب الشهير جورج سِمس . فقد دعي سنة ١٨٩٤ الى مأدبة في " كلوب الثلاثة عشر " فكتب الكتاب الآتي معتذرًا عن الحضور : —

" لقد خانتني شجاعتي في الدقيقة الاخيرة فأُعيد اليكم رقعة الدعوة شاكرًا لكم حسن صنيعكم . ولو لم يكن لي من اهتمُّ بهِ غير نفسي لقبلت الدعوة مسرورًا وازدريت الاقدار وفعلت كلَّ ما يحسن في اعين الاعضاء ما عدا لبس الربطة الخضراء على ما اشار صديقي المستر سالا فان الاخضر لايليق بي . ولكن لي من افتكر فيهِ غير نفسي — كلابي وقططي وخيلي فانهُ اذا نكبتُ بنكبة أُودتْ بي أمستْ وحيدة في هذا العالم . فاكرامًا لها اعتذر عن قبول الدعوة فلا اخاطر بنفسي . واني ادعو ألَّا يصيب احدًا منكم مكروه في الاستقبال "

وكان اهالي انكلترا القدماء يتخذون الارانب البرية للتكهن بالمستقبل . ومن الخرافات ان من يحمل يد الارنب اليمنى الامامية في جيبهِ يشفى من داء الروماتزم او يوقى منهُ . ولعل اصل هذ الخرافة صينيٌّ فان الصينيين يزعمون ان في القمر ارنبًا تدقُّ العقاقير وتُعدُّها . قال احد مشاهير كتاب القرن السابع عشر في احد مؤَلفاتهِ " اما الآن وقد فارقني المغص ولم يعاودني البتة فلا أدري أكان الواقي لي منهُ حملي لرجل الارنب او شربي لجرعة من التربنتينا كلَّ صباح "

ومن التعاويذ عند اهل ارلندا منطقة تُصنع من شعر النساء وتربط على الطفل حفظًا لهُ من العين . واهالي هولندا يجعلون الثوم والملح والخبز في سرير الطفل لمثل هذا الغرض . وفي بعض انحاء ارلندا اذا رأى الرجل الهلال لاول مرة مدّ يدهُ الى جيبهِ وقلب ما فيهِ من النقود الفضية من وجه الى وجه طلبًا لحسن البخت

وترى كثيرين عندنا اذا رأَوا الهلال يتناولون قطعة من النقود الفضية ويمدون يدهم بها نحو القمر قائلين " يهلك و يستهلُّك ويجعلك علينا شهرًا مباركًا " ولا يفعلون كذلك بالنقود الذهبية تطيُّرًا

واذا رأَى الفتيات عندهم الهلال لاول مرة من الشهر هرعن الى اقرب سلَّم او جدار وهنَّ لايلوين على شيءٍ ونادين قائلات " ايها الهلال السلام عليك أرني في الحلم من سيكون زوجي "

ومن الخرافات في الشرق ان السفر يوم السبت خير ومنهُ المثل الدارج في الشام "حجر السبت مطرحهُ" اي ان المسافر يوم السبت يأوب الى بلدهِ بالسلامة . وتفصيل الملابس يوم الثلاثاء والخميس ينذر بتفصيل الكفن قريبًا فلذلك يتشاءمون من خياطة الملابس فيهما

ومن التعاويذ والرقى فيهِ تعليق النعال والخرز الزرقاء والبَيض هذا عدا ما لهُ علاقة بالدين مثل الثوب والذخيرة وما اشبه مما هو معروف وشائع في كلّ زمان ومكان

وخرافات العرب في هذا الباب اكثر من ان تذكر وهم ينسبون بعضها الى ايمتهم وكبرائهم. ومن ذلك الابيات المنسوبة الى الامام علي وهي

لنعم اليوم يوم السبت حقًّا   لصيد ان اردت بلا امتراء
وفي الاحد البقاء لان فيهِ ا   بتداء الله في خلق السماء
وفي الاثنين ان سافرت فيهِ   تؤُبْ بالنجح فيهِ والنجاء
وان ترد الحجامة فالثلاثا   ففي ساعاتهِ هرق الدماء
وان شرب امرؤٌ يومًا دواءً   فنعم اليوم يوم الاربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاجٍ   فان الله يأذن بالقضاء
ويوم الجمعة التزويج فيهِ   سرورًا للرجال وللنساء
وهذا العلم لم يعلمهُ الاَّ   نبيٌّ او وصي الانبياء

احوال القطر المالية

مَن يمعن نظرهُ في مذكرة المستر روسن التي وردت في تقرير اللورد كرومر ونشرناها في الجزء الخامس من المقتطف يجد ان كاتبها اضاف النقود الواردة الى البضائع الواردة والنقود الصادرة الى الحاصلات الصادرة . وعندنا ان اضافة النقود على هذه الصورة توهم غير الواقع لان جانبًا كبيرًا من النقود الواردة أُتي بهِ ليديَّن في القطر فلا هو وفاء دين لنا ولا هو ثمن حاصلاتنا . ويجب اهمال النقود مطلقًا سواءٌ كانت صادرة او واردة . نعم لو كان الذهب يستخرج من مناجم القطر المصري ويسكُّ فيهِ ثم يرسل منهُ لوجب ان يحسب لهُ حساب اما في الحال الحاضرة فكل ما يصدر من القطر المصري حقيقة هو القطن والبزرة والسكر والفول وما اشبه فهذه هي الصادرات ويأتينا بدلاً منها المنسوجات المختلفة والتبغ والفحم والالات والادوات والاشربة وما اشبه مما تراهُ مسطورًا في باب الواردات

وعلى اهالي هذا القطر ان يدفعوا ثمن الواردات التي ترد الى بلادهم وان يدفعوا ايضاً فائدة ديونهم واقساطها وفائدة ديون حكومتهم واقساطها. وهم يدفعون ذلك من ثمن صادرات بلادهم ومن النقود التي يصرفها في بلادهم السيَّاح وغيرهم كما سيجيءُ. والاول هو الذي عليهم والثاني هو الذي لهم . فاذا زاد الذي لهم على الذي عليهم فهم في سعة وكسب كالصانع الذي يزيد دخلهُ على نفقاتهِ واذا نقص الذي لهم عن الذي عليهم فهم في فقر وخسارة كالصانع الذي ينقص دخلهُ عن نفقاتهِ

والذي كان على اهالي هذا القطر في العام الماضي بلغ نحو ٢٨ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات هكذا

٢١ ٥٦٤ ٠٠٠	ثمن البضائع الواردة
٠٣ ٣٧٨ ٠٠٠	فائدة دين الحكومة
٠٣ ٥٩٧ ٦٤٤	فائدة دين الاهالي والقسط السنوي
٢٨ ٥٣٩ ٦٤٤	

اما البضائع الواردة فالعمدة في تقدير ثمنها على تقرير الجمارك المصرية وهو ان اخطأَ فخطأُهُ في جانب القلَّة لا في جانب الكثيرة لانهُ لا يحتمل ان يقدّر التاجر ثمن بضاعتهِ اكثر من ثمنها الحقيقي بل المحتمل انهُ يقدّرهُ باقل من الثمن الحقيقي . وكذلك فائدة دين الحكومة معروف بالضبط التام وقد طُرحت منهُ فائدة السندات التي عند الحكومة. بقي الامر الثالث وهو فائدة دين الاهالي وهو غير محقَّق الَّا ان اللورد كرومر ذكر في تقريرهِ ان البنوك العادية تمتلك الآن نحو ٢٦ مليونًا ونصف مليون من الجنيهات وبنوك الرهنيات تمتلك اكثر من ٣٢ مليونًا ونصف مليون والجملة ٥٩ مليونًا ومعلوم ان اكثر هذه الاموال الاوربيين وريعها لهم والغالب ان بنوك الرهون تفرغ من النقود في مثل هذا الوقت من السنة لان الاهالي يستدينون كل اموالها ولذلك لا نظن اننا نبعد عن الحقيقة كثيرًا اذا قلنا ان ديون الاهالي للبنوك تبلغ الآن اربعين مليونًا من الجنيهات وهي لحاملي الاسهم والسندات من اهالي اوربا واميركا . والفائدة التي يدفعها اهالي القطر تختلف من ٥ في المئة الى ٩ ولا يبعد ان يصل منها الى اصحاب الاموال ٤ في المئة على الاقل وما بقي ينفق في هذا القطر للعمال ونحوهم . فاذا فرضنا ان الفائدة ٤ في المئة لا غير وان استهلاك الدين على ١٥ سنة فالقسط السنوي من فائدة ورأس مال يبلغ ٣٥٩٧٦٤٤ اي ثلاثة ملايين ونحو ٦٠٠ الف جنيه

هذا ما طُلب من القطر المصري في العام الماضي والمرجح ان ما يطلب منهُ هذا العام يزيد عما طُلب منهُ في العام الماضي لان قيمة الواردات زادت حتى آخر ابريل الماضي اكثر من نصف مليون جنيه فاذا استمرَّت الزيادة على هذا المنوال فلا يبعد ان تبلغ في آخر السنة مليون جنيه او اكثر . وفوائد الديون والاقساط تبقى على حالها او تزيد ولذلك فما يطلب من القطر المصري في عامنا هذا لا يقل عن ٢٩ مليونًا ونصف من الجنيهات المصرية

اما ما طلب لهُ في العام الماضي فثمن كل الصادرات وهو ٢٠٦٧٨٠٠٠ جنيه وقد اضاف المستر روسن الى ذلك نحو ١٥ في المئة مقابل العشرة في المئة التي تطرح في الجمارك المصرية وقت تقدير ثمن الصادرات ومقابل الزيادة التي تضاف الى ثمنها وقت بيعها في اوربا وجملة الاضافة ٣ ملايين و ١٠٢٠٠٠ جنيه واضاف ايضًا نفقات السياح في هذا القطر ونفقات جيش الاحتلال وشركة قنال السويس والسفن المارة بالثغور المصرية والربح من سك النقود الفضية كما ترى في هذا الجدول

قيمة الصادرات حسب تقدير الجمارك المصرية	٢٠٦٧٨٠٠٠
اضافة ١٥ في المئة	٠٣١٠٢٠٠٠
نفقات السياح	١٠٠٠٠٠٠
نفقات جيش الاحتلال	٣١٠٠٠٠
نفقات شركة قنال السويس	٤٢٠٠٠٠
نفقات السفن في الثغور المصرية	٥٠٠٠٠٠
الربح من سك نقود الفضة	١٤٠٠٠٠
	٢٦١٥٠٠٠٠

هذا مجموع ما حق للقطر المصري في العام الماضي ثمن صادراتهِ وكل ما انفقهُ السياح وغيرهم فيهِ ثمن مأكل ومشرب الخ . ويحتمل ان يكون تجارهُ قد ربحوا في بورصات اوربا واميركا ولكن الذين يعتمد على قولهم منهم يؤَكدون ان الربح ليس اكثر من الخسارة فقد ربح البعض وخسر البعض الآخر والارباح والخسائر متكافئة . وربح اهالي القطر ارباحًا اخرى من زيادة اثمان املاكهم فاذا باعوا املاكهم الآن فالثمن الذي يُعطَونهُ اكثر كثيرًا من الثمن الذي كان يمكن ان يعطوهُ منذ خمس سنوات ولكن هذا الربح اسمي لا يزيد بهِ الدخل زيادة حقيقية . وربحوا ايضًا مما أُصلح من الاطيان او حوّل من الري الشتوي

الى الصيفي وهو ربح حقيقي لا شبهة فيهِ وسيجنون ريعهُ في المستقبل القريب. والقسط الذي اوفوهُ من ديونهم صار ملكًا لهم فان كانوا قد اوفوا جزءًا من خمسة عشر جزءًا من الدين فهو مقدار كبير جدًّا لا يستخف بهِ ولكنهم لا ينجون من وطأة هذا الدين الاَّ بعد خمس عشرة سنة والمرجح انهُ لا ينقص في غضون هذه المدة بل يزيد كثيرًا لان من عادة الناس اذا سهلت عليهم ابواب الدين ان يستدينوا وقت الشدَّة ولا يوفوا وقت الرخاء والبلاد الزراعية تتقلب عليها السنون فتجود حاصلاتها مرة ولا تجود اخرى فان جادت او غلا ثمنها زاد اصحابها في نفقاتهم واذا امحلت او رخص ثمنها استدانوا ما يسدُّ العجز ولذلك لا نرى رأْي القائلين بانشاء البنوك الزراعية وتسهيل الدين على الناس ولا نحسب ان ذلك يعود عليهم بالنفع اخيرًا. والنجاة من المرابين تكاد تكون وهمية وهذا موضوع آخر لا محل للاسهاب فيهِ الآن

وقد زادت قيمة الصادرات هذا العام الى آخر ابريل الماضي نحو مليوني جنيه ويظهر لنا انها ستزيد ايضًا بسبب غلاء سعر القطن. نعم ان المتأخرات منهُ الآن في الاسكندرية اقل كثيرًا مما كانت في العام الماضي ولكن السعر المقطوع الآن للموسم المقبل يزيد عن السعر الذي كان مقطوعًا في العام الماضي للموسم الماضي وعليهِ لا يبعد ان تبلغ الزيادة في قيمة الصادرات في آخر العام اربعة ملايين من الجنيهات

وخلاصة ما تقدم ان ما طُلب من القطر المصري في العام الماضي بلغ ٢٨ مليونًا و ٥٤٠ الفًا من الجنيهات وما طُلب لهُ بلغ ٢٦ مليونًا و ١٤٠ الفًا لا غير فانكسر عليهِ مليونان و ٤٠٠ الف جنيه ولا عبرة بما ورد اليهِ وبما صدر منهُ من النقود

والمرجح ان ما يطلب منهُ في عامنا الحاضر يبلغ ٢٩ مليونًا ونصف مليون وما يطلب لهُ يبلغ ثلاثين مليونًا فاذا تمَّ ذلك اوفى القطر في عامنا هذا نصف مليون مما انكسر عليهِ في العام الماضي وبقي لهُ ربح آخر من الاطيان التي أُصلحت وسيزيد ريعها ومن الديون التي اوفى قسطًا منها فصار ملكًا لهُ. ولو بقيت قيمة الصادرات هذا العام كما كانت في العام الماضي لكانت العاقبة وخيمة جدًّا

والذين بيدهم اصلاح هذا القطر حريصون جدًّا على جلب ما ينفعهُ ودفع ما يضرُّهُ وقد تكللت اعمالهم بالنجاح حتى الآن وهي سائرة في خطة واحدة ولذلك نثق انهم يبذلون غاية الجهد في دفع كل ما في الامكان دفعهُ من المضار وجلب كل ما في الامكان جلبهُ من المنافع

أَمكنة الزلازل وأَزمنتها

للاستاذ ترنر من اساتذة كلية اكسفورد

لا بدَّ ان يكون تعدُّد الزلازل الهائلة وثوران البراكين في الاشهر الاخيرة قد حمل الناس على التساؤُل عما اذا كان لهذه الحوادث مصدر مشترك يمكن تعيينهُ قصد تدارك خطرها قبل نزولهِ . ولا ينكر ان منعها والتحكم بها مما لا قبَل لبشر بهِ ولكن الانذار بها يقي الناس ويلات وكوارث تنتابهم آنًا بعد آن

ورب سائل يسأَل هل اهتدى العلم الحديث الى ما ينذر بالزلازل وثوران البراكين قبل حدوثها . وجوابًا عن ذلك اقول ان معرفتنا من هذا القبيل لا تزال قليلة لا تفيد فائدة يعمل بها ولكنَّ هناك امرين عرفناهما وقد يفضيان بنا اخيرًا الى ما تحمد معرفتهُ فقد عرفنا بعض الشيء عن امكنة الزلازل وبعض الشيء عن ازمنتها وهذا البعض وان يكن يسيرًا فعظم نتيجتهِ يجعلهُ من الاهمية بمكان

لا يخفى ان رصد الزلازل رصدًا منتظمًا لم يبدأْ الاَّ منذ نحو ربع قرن وتقييد الزلازل والهزات التي تحدث كلَّ سنة في جميع انحاء الكرة احدث عهدًا اذ بدأَ سنة ١٨٩٢ . وكانت الزلازل والهزات قبل السنة المذكورة لا يشعر بها الاَّ حيث تحدث واذا حدثت زلزلة في مكان غير معمور ضاع اثرها فلم تقيد . ولكن ظهر سنة ١٨٩٠ انهُ اذا نصبت آلات دقيقة القياس في عدة مراصد امكن معرفة جميع الهزات التي تحدث في انحاء الارض كلها وتعيين اماكنها بالضبط والدقة ولو لم تكن تلك الاماكن مأْهولة . واتضح من الارصاد التي رصدت منذ ذلك العهد ان الهزات الخفيفة التي تصيب الارض كلَّ سنة تبلغ نحو ٣٠ الفًا منها ٦٠ هزة كبيرة فقط يشعر بها من مسافة بعيدة وعليهِ فان هزة سان فرنسسكو أَو زلزلتها لا تعدُّ حادثًا شاذًّا خارق العادة بل هي حادث من ستين مثلها تحدث كلَّ سنة وانما اكبر امرها حدوثها في مدينة عظيمة آهلة بالسكان ففتكت بها فتكًا ذريعًا . وقد اكثر الناس من السؤَال بعد زلزلة سان فرنسسكو قائلين هل عرف عن المكان الذي بنيت المدينة فيهِ انهُ عرضة للزلازل حتى يقال ان بناءها هناك كان خطاءٌ في خطاءٍ منذ البداية وهل يستصوب بناؤُها ثانية حيث هي الآن . فهذان السؤَالان من اهمّ مسائل العمران وللجواب عليهما اقول

ورد في التقرير العاشر للجنة الجمعية الانكليزية الذي وضعهُ الاستاذ ملن ان الهزات الكبيرة التي رُصدت بين سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٥ حدثت في ثلاث عشرة ناحية من النواحي

المشهورة بزلازلها منها خمس حدثت في ثلاث نواحٍ والبقية في العشر الباقية على معدَّل نحو ٤٠ هزة كبيرة في كلّ ناحية . وهذه النواحي العشر هي ساحل ألاسكا وساحل كليفورنيا وجزائر الهند الغربية وساحل شيلي وجنوبي زيلندا الجديدة واليابان وناحية جزيرة جاوى وتشكند وجزائر الازور والاوقيانوس الهندي بين الهند ومدغسكر . وهي مجموعة في حلقتين الاولى تتضمن السبع النواحي الاول ومركز هذه الحلقة عند جزيرة تاهيتي في الباسيفيك وقطرها نحو ١٣٠ درجة والثانية تتضمن الثلاث الباقية ومركزها في الجهة المقابلة لمركز الاول من الكرة في صحراء افريقية وقطرها ١٠٠ درجة

وهذا التقسيم ليس اعتباطيًّا بل هو حقيقة طبيعية ذات شأن عظيم على ما ظهر من ابحاث الاستاذ جينس . فقد قرأ مقالة على الجمعية الملكية سنة ١٩٠٣ ذهب فيها الى أن الارض ليست كرة ولا شبيهة بالكرة بل شكلها شكل الكمثراة ولكنها لا تزال تتقارب من شكل الكرة تدريجًا طوعًا لجذب نفسها لنفسها فتحدث الزلازل من ذلك ويكون حدوثها في القسم الاضعف منها طبعًا وطرفا الكمثراة يقابلان مركزي الحلقتين المشار اليهما فالواحد في افريقية والآخر في الباسيفيك كما تقدم

وخلاصة ذلك ان لحدوث الزلازل في الاماكن المذكورة آنفًا سببًا حقيقيًّا وانها تبقى تحدث فيها الى ما شاء الله على ما يرجَّح . وقد عرضت ابحاث الاستاذ جينس ونتائجهُ على اللورد رايلي ليرى رأيهُ فيها فقال في جلسة عقدتها الجمعية الملكية حديثًا ان تلك النتائج صحيحة على وجه الاجمال وان حالة الارض متغيرة لا ثابتة كما يظن البعض

اذًا فمن شاء ان يعيش بمأمن من الزلازل فليسكن عند طرفي الارض المقابلين لطرفي الكمثراة وهما افريقية والباسيفيك . ثم ان في الارض اماكن غيرها يكون الانسان فيها آمنًا شرَّ الزلازل مثل اميركا ما عدا غربيها او سيبيريا . ولكن الاماكن المخطرة تشمل بقاعًا عظيمة الاتساع كثيرة الفائدة بحيث يتعذر تركها غير آهلة . وزد على ذلك ان بعض تلك البقاع اشدُّ خطرًا من البعض فبلاد اليابان يمكن قسمتها الى خمسة عشر قسمًا يختلف الواحد منها عن الآخر في شدَّة وطأَة الزلازل عليهِ ومثل اليابان غيرها من البلدان . فلا يمكن والحالة هذه التخلص من الزلازل بل لا بدَّ ان يتعرض الانسان لاخطارها مثلما يتعرض لاخطار الاسفار البرية والبحرية فاننا نعلم انهُ قد تثور في البحار احيانًا انواءٌ شديدة تبيد كلَّ ما يعرض في سبيلها ولكنَّ لنا مصالح اخرى غير المحافظة على سلامتنا تدفعنا الى ركوب البحار فنركبها ونحن نؤمل ان لا يدهمنا نوءٌ ولا تثور علينا عاصفة

هذا من حيث امكنة الزلازل واما من حيث ازمنة حدوثها فاقول ان علمنا من هذا القبيل قد لا يزيد عن علمنا من القبيل الاول ولكن هناك ادلة تؤيد المذهب القائل ان زيادة الزلازل في بعض الازمنة والاوقات قد تنشأ عن اضطراب غير اعتيادي يطرأ على دورة الارض اليومية . وهذه الادلة ضعيفة وسبب ضعفها قصر الوقت الذي جمعت فيهِ ولكن ذلك لا يقدح في صحتها . فقد تقدَّم ان تقييد الزلازل حديث العهد ووجود الاضطراب في دورة الارض اليومية قديم ولكن اكتشافهُ حديث ايضاً لا يزيد عمرهُ على ٢٠ سنة . وهذا الاضطراب نظاميٌّ يجري على حسب ناموس معروف فاذا ثبت وجود العلاقة التي يظنُّ وجودها بينهُ وبين الزلازل امكننا الانباء بالازمنة التي تكثر الزلازل الشديدة فيها . ويظهر من بعض الوجوه ان هذه الازمنة ميعادها فصل الربيع ولذلك تكثر الزلازل فيهِ

ثم ان هذه الازمنة قد تقابل من بعض الوجوه ازمنة حدوث المدّ على الارض . فمن المشهور ان المدّ يكون اعظم عند ما يكون القمر هلالاً او بدراً منهُ عند ما يكون في آخر الربعين الاول والاخير والسبب في ذلك ان المدّ ينشأ عن جذب القمر والشمس كليهما للارض فاذا جذباها معاً من جهة واحدة او جهتين متقابلتين كان المدُّ كبيراً والاَّ كان صغيراً . ولا يخفى ان فعل القمر في احداث المدّ على الارض اعظم من فعل الشمس بكثير ولو كانا متساويين او متقاربين لزال المدُّ احياناً بحيث لا يشعر بهِ لصغرهِ

وما قيل في المدّ يقال في دورة الارض فان هناك عاملين متسلطين عليها فآونة يتفقان واخرى يتضادَّان ولكنهما اكثر تساوياً في فعلهما من القمر والشمس وعليهِ فقد تمرُّ اوقات يكون فيها فعل الواحد منهما مساوياً لفعل الآخر او يكاد فيبقى محور الارض ثابتاً لا يتقلقل . وتمرُّ اوقات أُخرى يعملان فيها معاً فينحرف المحور كثيراً مرة الى هنا ومرة الى هناك ويرسم كلٌّ من طرفيهِ قوساً مؤلفة من منحنيات منفرجة وحادَّة . وتدلُّ الدلائل المشار اليها اننا نكون اكثر عرضة للزلازل عندما يرسم المحور المنحنيات الحادة منا عندما يرسم المنحنيات المنفرجة

ولا بدَّ من البحث في هذه المسألة بحثاً رياضياً قبلما يمكن القطع فيها ولكن المصاعب التي تعترض الباحث في هذا السبيل عظيمة لا يستهان بها . ولعل طول الزمان يذللها . على ان ما استفادهُ الباحثون من درس الزلازل وما يتعلَّق بها يظهر مما ذكرهُ الاستاذ ملن في خطبتهِ المشار اليها آنفاً قال : —

أُقيم في الجامعة الامبراطورية باليابان دكة تدار وتحرَّك بآلات قوية تحدث فيها اهتزازات مختلفة الشدة مثل اهتزازات الزلازل . ووضعت عليها انموذجات كبيرة من الابنية

الحجريَّة والخشبيَّة والمعدنيَّة لامتحان قدرتها على احتمال الاهتزاز الذي يطرأُ على الدكة . وقد استفاد اليابانيون فائدة عظيمة من ذلك وجعلوا يبنون المنازل طبقاً لنتيجة التجارب التي جرَّبوها فكانت اثبت امام الزلازل من المنازل الاخرى التي لم تبنَ على مثالها . ولما رأَت الحكومة اليابانية ذلك مدَّت يد المساعدة الى رعيتها وأُيدتهم في ابحاثهم وتجاربهم من هذا القبيل

مفاخر البطالسة

وبطليموس الثاني

لا يسع من ينظر في تاريخ هذا القطر من اقدم العصور الى الآن ان يغمض عينيهِ عن امرٍ اجلى من الصبح وهو ان سكانهُ سعدوا في زمن الفراعنة والبطالسة والقياصرة الى ان مرَّ قرنان او ثلاثة من التاريخ المسيحي ثم تطرَّق اليهم الشقاء والضعف فاستمرا الى اواخر القرن الماضي . ولا عبرة بما تخلَّل قرون النعيم من سني الشقاء ولا بما تخلَّل قرون الشقاء من سني النعيم لان الحكم على الغالب لا على النادر

وكان المنتظر ان تتبع البلاد سنَّة الارتقاء العامَّة فيكون كل عصر من عصورها ارقى من الذي قبلهُ وان يبني اهل كل عصر على اساس اسلافهم ويفوقوهم علماً وحنكةً فيستفيدوا مما اكتشفهُ اسلافهم وحققوهُ ويتجنبوا ما وقعوا فيهِ من الخطاء. ولكن الامر ليس كذلك فان احوال هذا القطر كانت منذ مئة عام اسوأَ مما كانت عليهِ في اي عصر كان من العصور الغابرة بل كادت امورهُ تكون سلسلة من التأَخر متصلة الحلقات من زمن الفتح الى عهد الاسرة الخديويَّة. واسباب ذلك لا تتعذَّر معرفتها على من يقرأُ التاريخ ويبحث فيهِ عن الحقائق العمرانيَّة

في العربية تواريخ كثيرة لهذا القطر ذكر كتَّابها حوادثهُ كما حدثت في ايامهم او في ايام الذين نقلوا عنهم وفيها من المواعظ ودلائل الاعتبار اكثر ممَّا قصد مؤَلفوها فاننا قلما نقرأُ صفحة منها الآ ونرى فيها عبرة وذكرى وايضاحاً للخراب المتوالي الذي حلَّ بهذا القطر . فان البلاد زراعية من اول عهدها واعتماد اهاليها على الزراعة فهي مورد رزقهم وهم مورد رزق الولاة ولذلك كانت البلاد تسعد على مقدار ما يعتني ولاتها براحة الرعية وتمهيد الوسائل اللازمة لنجاح الزراعة كطرق الري والنقل وما اشبه . وكما يهتم المالك الحكيم الآن بطرق الري والصرف والنقل في اطيانهِ وبناء العزب فيها لراحة سكانها حتى يقوموا بخدمة الزراعة فتزيد

ويزيد جناها كذلك كان الملوك الذين افلحوا في سياسة هذه البلاد يهتمون بها وبسكانها

ولم تخلُ البلاد في عصر من عصورها من دين يدين بهِ سكانها ويتمسكون بعراهُ ومن خَدَمة لذلك الدين لهم مقام رفيع في نفوس سكانها ولذلك كان ملوك مصر يحترمون دين شعبها ويشيدون هياكلهُ ويسبغون الخيرات على خَدَمتهِ فيمتلكون الرعاة والرعيَّة من الجهة الدينيَّة فيؤَلهم الكهنة ويعبدونهم فيزيد تعلق الرعية بهم. وقد خالف الفرس هذه القاعدة فسخط السكان عليهم واستقدموا الاسكندر المكدوني وسلموا البلاد اليهِ لكي يتخلصوا منهم او ساعدوهُ على امتلاكها نكاية بهم. ثم لما اعتنقوا النصرانية وانقسمت مذاهب النصارى وخالف مذهبهم مذهب الروم فيها رحَّبوا بالعرب نكاية بالروم. ولم تمضِ الاَّ مئة سنة على ولاية العرب حتى اخذوا يجورون على سكان البلاد ويرهقونهم. قال المقريزي "ولما ولي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان (سنة ٨٦ للهجرة) اشتدَّ على النصارى واقتدى بهِ قرَّة بن شريك ايضاً في ولايتهِ على مصر وانزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها. واشتدَّ ايضاً اسامة ابن زيد التنوخي متولي الخراج على النصارى واوقع بهم واخذ اموالهم ووسم ايدي الرهبان بحلقة حديد فيها اسم الراهب واسم ديرهِ وتاريخهُ فكان مَن وجدهُ بغير وسم قطع يدهُ... ثم كبس الديارات وقبض على عدة رهبان بغير وسم فضرب اعناق بعضهم وضرب باقيهم حتى ماتوا تحت الضرب ثم هدمت الكنائس في سنة اربع ومئة والخليفة يومئذٍ يزيد بن عبد الملك"

وجرت الحال على هذا المنوال الى ان كانت سنة ٢١٦ للهجرة فانتقض القبط فيها لما وقع عليهم من الجور "فاوقع بهم الافشين حتى نزلوا على حكم امير المؤْمنين عبد الله المأمون فحكم فيهم بقتل الرجال وبيع النساء والذرية فبيعوا وسبي اكثرهم ومن حينئذٍ ذلَّت القبط في جميع ارض مصر ولم يقدر احد منهم بعد ذلك على الخروج على السلطان فرجعوا عن المحاربة الى المكايدة واستعمال المكر والحيلة"

وكرَّت السنون والاشتداد عليهم يضعف يوماً ويزيد شهراً حتى لم يبقَ منهم بعد الف سنة سوى بقية قليلة جدًّا ثلثمئة الف او اقل مع انهم كانوا وقت الفتح نحو ثمانية ملايين من النفوس او اكثر ولا تظننَّ ان عددهم قلَّ لانهم اعتنقوا الاسلام نعم ان اكثرهم اسلموا ولكن سكان القطر المصري كلهم من قبط وعرب ويهود وروم وسوريين لم يبلغوا في اوائل القرن الماضي ثلاثة ملايين مع انهم كانوا قبل ذلك بالف سنة اكثر من ثمانية ملايين

ومما يستحق ان يسطر في بطون الاوراق ويتخذ عبرة من كتاب المواعظ والاعتبار وغيرهِ من التواريخ العربية ان المحن تأْتي احياناً كثيرة من المتحمسين للدين المتنطعين فيهِ

ولو على غير ارادة الولاة والحكام . اي ان العامة تجبر الخاصة على ما يخرب البلاد ويهلك العباد باغراء افّاق متحمس او منافق محتال . ولا نريد بذلك انهُ اذا حسب الانسان ان دينهُ هو الحق يحظر عليهِ ان يدعو غيرهُ اليهِ كلاَّ . ولكننا نريد ان الاشتداد والاجبار اللذين جرى عليهما ولاة مصر بعد الفتح كالاشتداد والاجبار اللذين جرى عليهما ولاة الفرس افسدا قلوب الرعية ثم افضيا الى خراب البلاد . وقد جرى البطالسة بعد الفرس على ضد ما جرى عليهِ الفرس فكانت النتيجة ان ارتقت البلاد في عهدهم كما ارتقت في عهد ملوكها الاولين واليك بيان ذلك

شرعنا منذ ست سنوات في كتابة ملخص لتاريخ البطالسة بعد ما فرغنا من نشر تاريخ الاسكندر المكدوني فنشرنا منهُ خلاصة تاريخ بطليموس الاول المعروف ببطليموس سوتر اي المنقذ ثم شغلتنا الشواغل عن اتمامهِ وقد رأينا ان نعود الى تتمة الحديث لما فيهِ من الفكاهة التاريخية فوق ما فيهِ من الموعظة والاعتبار فنقول

ولد بطليموس الثاني سنة ٣٠٨ قبل ميلاد المسيح واشركهُ ابوهُ معهُ في الملك سنة ٢٨٥ قبل الميلاد وبقي مشاركاً لهُ ولو بالاسم سنتين اي الى ان توفي . وكان بطليموس الاول عاقلاً حكيماً حنَّكهُ الدهر وعلَّمهُ كيف تكون سياسة الرعيَّة وكفاهُ فخراً انهُ رقَّى هذا القطر حتى اعاد اليهِ مجدهُ الاول ووفَّق بين المصريين واليونانيين توفيقاً منقطع النظير

وحالما رقي بطليموس الثاني الى كرسي الملك تزوج بارسنوي ابنة لسياخوس ملك تراقية فولدت لهُ ثلاثة اولاد وكان ملك تراقية متزوجاً باخت بطليموس الثاني واسمها ارسنوي ايضاً فقُتل وقتل اولادها فعادت الى بلاط اخيها فاشار عليهِ الكهنة المصريون ان يتزوج بها ايضاً لكي يكون اولادهُ منها من نسل الملك من طرفين فيكونوا احق بهِ من غيرهم ففعل على مقتضى رغبتهم وخلافاً لعادات اليونان لان اليونان لم يكونوا يتزوجون باخواتهم كالمصريين وكان يحبها حبًّا مفرطاً وهي كانت تحبهُ كذلك فلقبت فيلادلفي اي محبة اخيها ونقل هذا اللقب اليهِ بعد موتها . ويظهر لنا انها عاشت معهُ بالعفاف كما تعيش الاخت مع اخيها وتبنَّت ابناء زوجتهِ الاولى وكان همها الاكبر تعزيز سلطتهِ وماتت ولا ولد لها

وحدث في اوائل ملكهِ احتفال كبير تظهر منهُ عظَمة البلاد وما بلغتهُ من ابَّهة الملك في عصرهِ وعصر ابيهِ . وقد وصف كالكسينوس هذا الاحتفال ونقلهُ عنهُ اثينيوس في كتابهِ المعروف بمائدة الملوك . وكان المظنون انهُ اقيم يوم تتويجهِ ثم تبيَّن انهُ عيد كان يُحتفَل بهِ كل خمس سنوات قال اثينيوس ما ترجمتهُ

”هاك وصف السرادق (١) الفخيم الذي اقيم في ساحة القصر منفصلاً عن المكان المعدّ لاستقبال الجنود والصنَّاع والغرباء لانهُ كان على غاية الجمال ويستحق ان يسمع وصفهُ . كان يسع مئة وثلاثين مقعداً (او متكأً) موضوعة فيهِ في شكل دائرة وفيهِ خمسة اعمدة من الخشب في كل جانب علو العمود منها خمسون ذراعاً وقطرهُ نحو ذراع وعلى رأسهِ تاج مربع الشكل وسقف السرادق قائم على هذه الاعمدة وهو المكان الذي اولمت فيهِ الوليمة وعليهِ سجف كبير من القرمز اهدابهُ بيضاء . اربعة من هذه الاعمدة تشبه النخل . وحول السرادق من ثلاث جهات رواق مسقوف قائم على اعمدة حيث جلس المدعوون للوليمة لهُ سجوف من القرمز وجلود الحيوانات البرية وهي غريبة بالوانها واتساعها وحول الرواق اشجار ورياحين من الآس والغار وما اشبه وارض السرادق والرواق مفروشة بالازهار المختلفة الانواع لان الازهار تكثر في مصر في كل الفصول لجودة اقليمها ولاعتناء اصحاب الحدائق بغرس ما هو نادر في غيرها ولذلك يوجد فيها الورد والزنبق وكل زهر غيرهما على مدار السنة

”وكان الاحتفال شتاء ومع ذلك كانت الازهار كثيرة كثرة تفوق التصديق فان الزهر الذي لا يوجد منهُ في بلاد اخرى حينئذٍ ما يكفي لعمل اكليل واحد كان كثيراً هناك حتى صنعت منهُ اكاليل لكل المدعوين وفرشت بهِ ارض السرادق فظهرت كالمروج السموية

”وكان حول جدران السرادق مئة من تماثيل الحيوانات صنعها امهر الصنَّاع وبين الاعمدة صوَر صنعها المصورون السكيونيون وبين الصور حلل مزركشة بالذهب على بعضها صور ملوك مصر وكتابات من اخبار آلهتهم وفوقها تروس من الذهب والفضة دواليك وفوق التروس محاريب فيها صور ولائم جلس فيها الناس للاكل والشرب وهم لابسون ثياباً حقيقية وامامهم كؤوس وموائد من الذهب وفوق الجميع مما يلي السقف نسور من الذهب يقابل بعضها بعضاً طول كل منها خمس عشرة ذراعاً

وعلى جانبي السرادق مقاعد من الذهب قوائمها على شكل السفنكس مئة مقعد على كل جانب لان واجهة السرادق تركت مفتوحة وتحت المقاعد بسط من اجود انواع الصوف فيها نقوش بديعة . وارض السرادق كلها مفروشة بالبسط الفارسية وفيها رسوم حيوانات على غاية الدقة وامام كل مقعد مائدتان صغيرتان من الذهب قوائمهما من الفضة ووراء السرادق في مكان محجوب مئة طست من الفضة ومئة ابريق . وامامهُ في الجهة الاخرى منضدة كبيرة عليها الكؤوس وكلها من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ومنقوشة نقشاً بديعاً . ويتعذر

---

(١) معنى الكلمة اليونانية خيمة او سرادق ولكنهُ كان بناء فخيماً من الرخام

عليَّ ان اصف كل ما هو هناك ولكن ثمن الصحف والكؤُوس والطسوت وما اشبه عشرة آلاف وزنة (نحو مليونين وثلث من الجنيهات)

" واذ قد وصفنا السرادق نتقدَّم الى وصف المواكب فانها مرَّت اولاً في ساحة المدينة وفي مقدمتها موكب الزهرة نجمة الصبح لانهُ سار حينما اشرقت وتبعهُ موكب والدي الملك والملكة ثم مواكب جميع الآلهة كل الهٍ على حدتهِ وكل موكب منها يختلف عن الآخر حسب تاريخ الاله الذي هو لهُ وفي الآخر موكب الزهرة نجمة المساء

"واذا شاء احد ان يعلم وصف ما جرى بالتدقيق فلينظر الى الالعاب التي تجري كل خمس سنوات . ففي موكب ديونيسيوس مشى اولاً الحرس لمنع الازدحام وعلى بعضهم حلل ارجوان وعلى البعض الآخر حلل قرمز ووراءهم المهرجون وهم عشرون نفساً يحملون مصابيح مذهبة وعليهم ثياب مزركشة بصور الحيوانات وكثير من الحلى الذهبية ووراءهم مذبح علوهُ ست اقدام مغطًّى باوراق اللبلاب المذهبة وعليهِ اكليل من الذهب ووراءهم غلمان ثيابهم من الارجوان يحملون المباخر والمر والزعفران على صحِاف من الذهب ووراءهم اربعون مهرجاً على رؤُوسهم اكاليل من الذهب واجسامهم مصبوغة بالارجوان او الزنجفر او غير ذلك من الالوان "

واطال اثينيوس في الشرح فلا نتبعهُ الى آخر كلامهِ . ومن اغرب ما كان في ذلك الموكب مركبة كبيرة فيها معصرة تعصر العنب وتصب عصيرهُ في الطريق ومركبة اخرى فيها زق كبير مصنوع من جلود النمورة وهو مملوء خمراً والخمر تنصب منهُ في الطريق ايضاً. واغرب من ذلك الحيوانات البرية التي سارت فيهِ فهي ٢٤ اسداً من الاسود الكبيرة ذات اللبد الطويل و ٢٦ ثوراً من الثيران الهندية البيضاء و ٨ ثيران من ثيران الحبشة و ١٤ نمراً و ١٦ فهداً ودب ابيض كبير وزرافة وكركدن حبشي و ٢٤ مركبة تجرها الافيال و ١٤ مركبة اخرى تجرها الايائل و ٦٠ مركبة تجرها المعزى و ٨ مركبات تجرها الحمر البرية . وجمال كثيرة تحمل طيوب بلاد العرب وزنوج يحملون ٦٠٠ ناب من العاج وغيرهم يحملون ٢٠٠٠ قطعة من خشب الابنوس وما لا يحصى من الآنية الذهبية والفضية المملوءة تبراً و ١٥٠ رجلاً يحملون انجماً عليها من جميع انواع الطيور واقفاصاً فيها من الطواويس ودبوك الغاب وطيور غينيا وما اشبه وصائدان معهم ٢٤٠٠ كلب من كلاب الصيد من انواع مختلفة . وسارت هذه الحيوانات في موكب الاله ديونيسوس وقد مثَّلوهُ راجعاً ظافراً من حروبهِ في بلاد الهند بتمثال كبير من الذهب والعاج وسار في موكبهِ كثير من النساء يمثلنَ السبايا . وكان في الموكب ايضاً

تمثال الاسكندر الكبير ومعهُ آلهة نيقية وآلهة اثينا في خدمتهِ وبطليموس الاول وقد توجتهُ مدن اليونان واسيا الصغرى ووقفت كورنثس الى جانبهِ . وهذه التماثيل كلها من العاج والذهب

ودام الاحتفال النهار كلهُ من الصباح الى المساء وسار فيهِ ثمانون الفًا من الجنود الفرسان والمشاة وكلهم بالثياب الفاخرة وبلغ ما أُنفق عليهِ خمس مئة الف جنيه بنقودنا. وهو من اقطع الادلة على ما بلغتهُ بلاد مصر في عهد البطالسة من الغنى والمجد وسعة المتاجر

ولم يحارب بطليموس الثاني حروبًا كبيرة لان اباهُ مهَّد لهُ الملك والزمان ساعدهُ بان اوقع اعداءهُ بعضهم في بعضهم. ورأَى قيام الدولة الرومانية فلم يشأْ ان يتعرَّض لها بل سالمها وداراها لانهُ لم يكن مقدامًا مثل ابيهِ بل كان يفضل الراحة والرفاهة على مجد الحروب والمغازي ولكن راحتهُ ورفاهتهُ كانتا في ما يلذ ويفيد في تنشيط العلوم والمعارف فاتمَّ العمل العظيم الذي شرع فيهِ ابوهُ وهو انشاء مدرسة الاسكندرية ومكتبتها واستدعى اليها علماء عصرهِ وفلاسفتهُ وقطع لهم الرواتب الطائلة من مال الدولة وبلغ عدد الكتب في المكتبة في عهدهِ ٤٠٠٠٠٠ مجلد في رواية و ٧٠٠٠٠٠ في رواية اخرى ثم زاد رويدًا رويدًا حتى بلغ في عهد يوليوس قيصر ٩٠٠٠٠٠ مجلد واعطيت ادارة المكتبة اولاً لزينودوتس الافسسي معلم بطليموس الثاني ثم لكليماخوس الشاعر الذي رتب الدروج كلها وبوَّبها

وفي ايامهِ بنيت المنارة المشهورة بناها لهُ سستراتس الكنيدي ويقال ان ارتفاعها كان ٤٠٠ ذراع وهذا بعيد عن الاحتمال ولكن لا يبعد انها كانت عالية جدًّا وثيقة البنيان حتى بقي برجها الاسفل الى سنة ١٣٥٠ للميلاد حين جاء ابن بطوطة الاسكندرية وقال انها بناء مربع ذاهب في الهواء داخلهُ بيوت كثيرة وعرض حائطهِ عشرة اشبار وعرض المنار من كل جهة من جهاتهِ اربع مئة واربعون شبرًا وهو على تلٍّ مرتفع. ثم قال قصدت المنار عند عودي الى بلاد المغرب سنة ٧٥٠ (١٣٢٩) فوجدتهُ قد استولى عليهِ الخراب بحيث لا يمكن دخولهُ ولا الصعود الى بابهِ

وقال بن جبير في رحلتهِ سنة ٥٧٨ هجرية انهُ قاس احد اضلاع المنارة فوجدهُ يزيد على خمسين ذراعًا وان الارتفاع يزيد على خمسين باعًا

اما ياقوت الحموي الذي شاهد المنارة قبل ابن بطوطة بنحو مئة وخمسين سنة فقال انها حصن عالٍ على سن جبل مشرف على البحر في طرف جزيرة بارزة في ميناء اسكندرية بينها وبين البرّ نحو شوط فرس وليس اليها طريق الاَّ في ماء البحر وهي مربعة البناء ولها درجة واسعة يمكن الفارس ان يصعدها بفرسهِ وقد سقفت الدرج بحجارة طوال مركبة على الحائطين

المكتنفي الدرجة فيرتقي الى طبقة عالية يشرف منها على البحر بشرافات محيطة بموضع آخر كأنهُ حصن آخر مربع يرتقى فيهِ بدرج اخرى الى موضع آخر يشرف منهُ على السطح الاول بشرافات اخرى وفي هذا الموضع قبة كأنها قبة الديدبان

وقال المقريزي في خططهِ نحو سنة ١٤٠٠ ان منارة الاسكندرية احد بنيان العالم العجيب ٠٠٠ وطولها في هذا الوقت تقريباً ٢٣٠ ذراعاً بعد ان كان اربعمائة ذراع فتهدمت من ترادف الامطار والزلازل . وبناؤها على ثلاثة اشكال فقريب من النصف واكثر من الثلث بناؤهُ مربع الشكل باحجار بيض وذلك نحو مئة ذراع وعشر اذرع تقريباً ثم بعد يكون مثمن الشكل مبنيًا بالحجر والجبس وذلك نيف وستون ذراعاً وحولها فضاء يدور فيهِ الانسان واعلاها مدوَّر . ورمَّ احمد بن طولون شيئًا منها وجعل في اعلاهُ قبة من الخشب يصعد اليها من داخلها وهي مبسوطة منخرفة بغير درج وفي الجهة الشمالية من المنارة كتابة برصاص مدفون بقلم يوناني طول كل حرف ذراع في عرض شبر ومقدارها على جهة الارض نحو مئة ذراع وبلغ ماء البحر اصلها . وقد كان تهدَّم احد اركانها الغربية مما يلي البحر فبناهُ ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون

وقال علي باشا مبارك في خططهِ ان محل هذه المنارة الآن البرج الزفر الذي هو محل طابية قائد بك الذي في النهاية البحرية الشرقية من جزيرة فاروس

واتمَّ بطليموس الثاني قبر الاسكندر الكبير واضاف اليهِ قبرًا لابيهِ بطليموس الاول وقبرًا لامهِ برنيكي وبنى هياكل كثيرة وانفق على ذلك اموالاً طائلة بعضها من مصر وبعضها من الجزية التي كانت ترسل اليهِ من سورية وقبرص وليسيا وكاريا وبلاد العرب

وبلغ عدد جنودهِ ٢٥٠ الفًا وكان عندهُ كثير من السفن الحربية والمركبات فقام بما تقتضيهِ من النفقات وبقي لديهِ ما يكفي من الاموال لبناء الهياكل وانشاء المدن وحفر ترعة من النيل الى البحر الاحمر حيث موقع مدينة السويس الآن

وبلغت تجارة مصر في عهدهِ مبلغاً عظيماً جدًّا فكانت سفنها تسير في البحر الاحمر تتجر مع المدن التي على ساحلهِ وتعبر الى الاوقيانوس وتصل الى بلاد الهند. وتسير في بحر الروم الى جزائر اليونان وايطاليا وسواحل الشام وتقطع الدردنيل الى البحر الاسود . واقبل اليها التجار واصحاب الاموال من كل فج لما وجدوهُ فيها من الامن والفلاح. ورأى بطليموس ومشيروهُ ان التغلُّب على البلدان القاصية بالتجارة اقل نفقة من التغلب عليها بالحروب ولذلك فمن الحماقة فتح البلدان بالسيف وفتحها بالتجارة سهل لا مشقة فيهِ ولا نفقة

ووجدت بلاطة في خرائب تل المسخوطة سنة ١٨٨٤ يظهر منها انهُ بنى هيكلاً للمعبود تمو في ثكوت في السنة السادسة من ملكهِ وانهُ طهَّر الترعة التي شرقي بحيرة العقرب وهي التي تصل بين النيل والبحر الاحمر وسار الى اقصى بلاد الجنوب الى برسمت ووجد آلهة مصر (اصنام مصر) فعاد بها الى بلادهِ . وقد ظنَّ البعض ان برسمت هذه هي بلاد الفرس ثم زار مدينة فيثون في السنة الثانية عشرة من ملكهِ وكانت اختهُ ارسنوي معهُ . وفي السنة السادسة عشرة من ملكهِ حفر ترعة تبدأُ من شمالي هليوبوليس وتنتهي في بحيرة العقرب • ولما اتمَّ عملهُ مضى الى كمورت (البحر الاسود) ومصَّر مدينة هناك اكراماً لاختهِ ودعاها باسمها واقام فيها هيكلاً للمعبود تمو ثم جمع سفناً كثيرة وعبَّأَها بالجنود وعقد لواءها لقائدهِ الاول فسافرت في البحر الاسود الى حد خمثيشت. ولما عاد من هناك اهتمَّ ببناء مدينة بطلماس (قرب سواكن) واصطاد جنودهُ هناك افيالاً كثيرة وعادوا بها الى مصر بالمراكب ولم يفعل ذلك احد قبلهُ من كل ملوك مصر . ويقال في آخر الكتابة ان الاوقاف التي اوقفها للهياكل المصرية يبلغ ريعها السنوي عشرة ملايين وخمسين الف قطعة من الفضة واباح للكهنة ان يتقاضوا ضريبة سنوية على البيوت المجاورة للهياكل تبلغ تسعين رطلاً من الفضة وعلى سكانها تبلغ ٦٦٠ الف قطعة من الفضة . وتمَّ كل ذلك ورُتب في الشهر الرابع من السنة الحادية والعشرين من ملكهِ

وقد وجدت كتابات اخرى من هذا القبيل وكلها تؤَيد ما قلناهُ سابقاً من ان بطليموس الثاني بنى الهياكل المصرية واوقف عليها الاوقاف الطائلة . لكنهُ جرى في ذلك على سياسة الدهاء فان اختهُ توفيت في السنة الخامسة عشرة من اقترانهِ بها فالهَّها الكهنة وجعلوها في المصاف الاول بين معبوداتهم واشاعوا عبادتها في البلاد كلها لكثرة ما غمرهم بهِ اخوها من النعم فلما تمكنت عبادتها في البلاد حتى صارت كأَنها عبادة القطر المصري كلهِ حوَّل ريع الاوقاف كلها اليها مرةً واحدة وكان ذلك في السنة الثالثة والعشرين من ملكهِ . فعل ذلك ولم يلقَ من الكهنة اقل مقاومة لانهُ بقي يغدق عليهم النعم والعطايا فاستولى على ريع الاوقاف الدائم واعطاهم بدلاً منهُ اجوراً سنوية يستطيع ان يمنعها متى شاء فصاروا من جملة خدمهِ واصبح قيادهم في يدهِ

ولكنهُ لم يقتصر على منح الاموال للكهنة بل بنى الهياكل الفخيمة فارضاهم وشغَّل جانباً كبيراً من العمَّال ومن هذه المباني ما كان مختصاً بعبادة اختهِ ارسنوي في الاسكندرية ولم يبقَ لهُ اثر الآن وشرع في بناء هياكل انس الوجود فبنى جانباً كبيراً منها واتم المقصورة البديعة على اسم اختهِ . واقام هيكلاً في هبيات قرب سمنود (بهبيت الحجر) طولهُ نحو

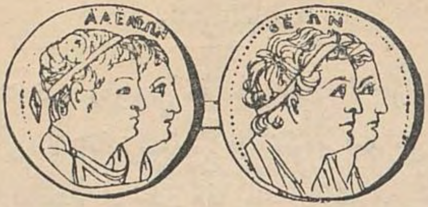

على الوجه الواحد صورة بطليموس الثاني وارسنوي وعلى الوجه الاخر صورة ابيهِ بطليموس الاول وامهِ برنيكي

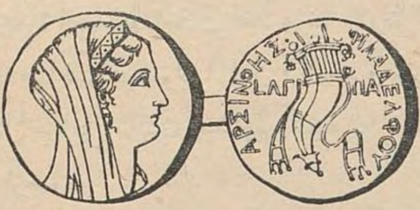

صورة ارسنوي وحدها اخت بطليموس الثاني وزوجتهِ

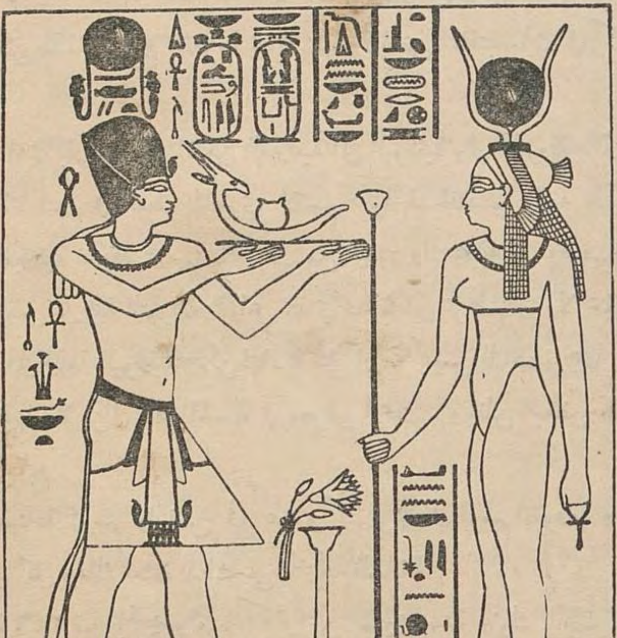

بطليموس الثاني يقدم التقدمات الى المعبودة ايسس وهي تقول لهُ اني امنحك كل قوة وسلطة مثل را في السماء

٦٠٠ قدم وعرضهُ ٢٠٠ قدم وهو مبني كلهُ بالغرانيت الاحمر والازرق جدرانهُ وعمدهُ وسقفهُ ولم يبقَ منهُ الآن الاَّ حجارة مبعثرة . فلم يضارعهُ احد من فراعنة مصر ولا من كل ملوكها الذين كانوا قبلهُ او بعدهُ في جلب هذا المقدار العظيم من حجارة الغرانيت من اصوان الى طرف الوجه البحري

وبنى كثيرًا من المدن في القطر المصري وسورية واسيا الصغرى على اسم اختيهِ ارسنوى وفيلوترا. وكانت بحيرة الفيوم قد اخذت تنحطُّ فاحيا الارض التي حولها واقطعها الجنود اليونانية التي اتمَّت مدة خدمتها فسكنوها وبنوا المدن فيها وقد وجدت آثارهم هناك مكتوبة باليونانية الصحيحة ويستدلُّ منها على اساليب معيشتهم وكيفية ادارة الاحكام في ذلك العصر. وسميت الكورة كلها باسم ارسنوى

واهتمَّ بتاريخ المصريين فامر الكاهن منيثو احد كهنتهم ان يكتب لهم تاريخًا مسهبًا باللغة اليونانية فالَّف تاريخهُ المشهور ناقضًا بهِ ما ذكرهُ هيرودوتس وغيرهُ من الروايات الخرافية عن المصريين لكن هذا التاريخ فقد ولم يحفظ منهُ الاَّ بعض الاقتباسات في كتب غيرهِ من المؤَرخين

ويقال انهُ اهتمَّ بترجمة التوراة من العبرانية الى اليونانية وهي المعروفة بالترجمة السبعينية لافادة اليهود القاطنين في القطر المصري لانهم كانوا قد اقتبسوا اللغة اليونانية وصاروا يتكلمونها بدل العبرانية . وقد اسهب الكتَّاب من اليهود والمسيحيين في وصف الطريقة التي جرى عليها بطليموس لترجمة التوراة والداعي الذي دعاهُ الى ترجمتها . ولا شبهة في ان التوراة ترجمت الى اللغة اليونانية ولكن الادلَّة على ان بطليموس الثاني ترجمها او ترجمت في عهدهِ مطعون فيها ولا تزال هذه المسأَلة في معرض البحث . ويظن البعضُ انها ترجمت في عهد بطليموس السابع

وارتقت صناعة الرسم والنقش في عهدهِ كما ترى في رسم نقودهِ ونقود ابيهِ وفي ما نقش على الهياكل وهاك امثلة لذلك على الصفحة السابقة

وتوفي سنة ٢٤٦ قبل المسيح وعمرهُ اكثر من ستين سنة وترك الملك لابنهِ وهو كهل واسع الخبرة وترك لهُ اموالاً لا تحصى ومملكة واسعة الاطراف وافرة الثروة

باب الصناعة

شيوع السمنت

ان استعمال السمنت للبناء سيغير الاسلوب الذي جرى عليهِ الناس منذ سبعة آلاف سنة الى الآن وهو قطع الحجارة ونحتها للبناء بها . لان السمنت يجبل ويفرغ في القوالب حسب الشكل المراد فيخرج منها حجارة منحوتة صقيلة الجوانب او منقوشة نقشاً بديعاً حسب المراد ويسهل جعلها مجوَّفة فتكون خفيفة وواقية من الحر والبرد وهي متينة مثل اشد الحجارة متانة او امتن منها

وسمنت بورتلند اشهر انواع السمنت واكثرها استعمالاً وقد زاد استعمالهُ جدًّا في هذه السنوات الاخيرة فقد كان لهُ في الولايات المتحدة الاميركية سنة ١٨٩٠ ستة عشر معملاً تصنع في السنة ٣٣٥٠٠٠ برميل فصار لهُ في العام الماضي ٨٢ معملاً تصنع في السنة ٣١ مليون برميل اي زاد ما يصنع من السمنت مئة ضعف في ست عشرة سنة لان المصنوع منهُ سنة ١٨٨٩ كان ٣٠٠ الف برميل لا غير

والظاهر ان السمنت المصري الذي يصنع بين القاهرة وحلوان من النوع الجيد وقد كثر الطلب عليهِ حتى ما يُصنع منهُ لا يكفي لما يطلب منهُ . ولا بدَّ ما يشيع البناء بحجارة السمنت في هذا القطر لانها اصلح للبناء من الحجر المصري من كل وجه

الزابون Zapon

الزابون ورنيش يقوم مقام ورنيش اللك . فان صمغ اللك غلا كثيرًا في هذه الايام فاتجهت الانظار الى اكتشاف مادة تقوم مقامهُ فوجد ان الزابون يقوم مقام اللك ويصنع منهُ ورنيش حسن جدًّا للمعادن والخشب والورق ولكل ما يستعمل فيهِ ورنيش اللك

والزابون نوع من الكلوديون او قطن البارود مذابًا في الاميل اسيتات والاسيتون . وذلك بان يمزج ١٨ جزءًا من الاميل اسيتات وجزءان من الاسيتون ويذاب في المزيج خمسة اجزاء من قطن الكلوديون . لكن استحضار هذه المواد والعمل بها عسر جدًّا وشديد الخطر ولذلك يجب ان يشتري الزابون جاهزًا من المعامل التي تصنعهُ

ويلوَّن الزابون بكل الوان الانيلين العادية ولايذاب بالسبيرتو العادي بل بالاميل اسيتات والاسيتون ولا تدهن بهِ المعادن باردة بل دافئة بعد تنظيفها جيدًا ممَّا قد يكون لاصقًا بها من المواد الزيتية او الدهنية . وتدهن المواد بالزابون دهنًا او تغطَّس فيهِ تغطيسًا. وهو سريع الالتهاب فلا يدني منهُ قنديل مشتعل او نار مكشوفة ورائحتهُ تهيج الحلق ولكنها لا تضرُّ الصحَّة

الوقوف ام الجلوس

من العمَّال مَن يعمل وهو واقف ولا يجلس الَّا نادرًا ومنهم من يعمل وهو جالس ولا يقف الَّا نادرًا . والعمل يحكم على العامل غالبًا فالنجار يقف النهار كلهُ ولا يجلس الَّا نادرًا والخرَّاط يجلس النهار كلهُ ولا يقف الَّا نادرًا والخياط يخيط وهو جالس ولا يقف الاَّ قليلاً عند التفصيل والتجربة ومرتب الحروف يقف في اكثر المطابع ولكنهُ يجلس في بعضها

وقد امتحن المسيو شارل فرَّه مقدار تعب الانسان وهو جالس ومقدار تعبهِ وهو واقف وذلك بآلة اسمها الارغوغراف فوجد ان العمل والانسان واقف يكون اصلح منهُ والانسان جالس بنحو العشر ولكن اذا طالت مدة العمل فالواقف يعمل اولاً بهمَّة زائدة ثم تضعف قوتهُ كثيرًا والجالس يعمل اولاً بقوة اضعف من قوة الواقف ثم تنقص قوتهُ رويدًا رويدًا ولكنها تبقى في الاخر اشد من قوة الواقف

ووجد ايضًا انهُ اذا انقطع العامل عن العمل مدة وجيزة من خمس دقائق الى عشر تحسَّن عملهُ حين الرجوع اليهِ اكثر ممَّا لو انقطع عنهُ ساعة من الزمان

حفظ اللحم من الفساد

لا يخفى ان اللحم سريع الفساد ولا سيما في البلاد الحارَّة وفي زمن الحر . وقد استنبطت طرق كثيرة لحفظهِ من الفساد كتغطيسهِ في السوائل التي تميت الميكروبات او تغليفهِ بطبقة رقيقة من الدخان والمواد التي تكون معهُ مانعةً لنمو الميكروبات او حفظهِ في مكان بارد جدًّا يميت بردهُ الميكروبات او يمنع نموها او وضعهِ في آنية زجاجيَّة او معدنية مسدودة سدًّا مانعًا لدخول الهواء والميكروبات على انواعها . لكن هذه الطرق كلها لا تفي بالمراد اذا اريد نقل الحيوانات المذبوحة من مدينة الى أُخرى في البلاد الواحدة ولم يكن فيها مركبات مبرَّدة معدَّة لذلك

وقد استنبط احد الايطاليين واسمهُ كرافري طريقة لحفظ اللحوم من الفساد وهي ان

يذبح الحيوان ثم تحقن اوردتهُ بماء اذيب فيهِ ملح وحامض خليك (في مئة درهم من الماء ٢٥ درهماً من ملح الطعام واربعة دراهم من الحامض الخليك) فاذا كان وزن الحيوان المذبوح مئة رطل حقن بعشرة ارطال من هذا السائل . وقد امتحن الاستاذ بروسافرو هذه الطريقة في خروف وعجل ثم علَّق شلويهما في غرفة حرارتها ١٦ درجة بميزان فارنهيت مدة ٧٥ يوماً وسلخهما بعد ذلك وشقهما فوجد قلبيهما ودماغيهما وكبديهما وامعاءهما على شكلها الطبيعي ولحمهما ودهنهما سليمين تماماً وطريَّين وبهما رائحة حامضة خفيفة جدًّا ولكنها طيبة وليس فيهما اقل دليل من دلائل الفساد . وسلق بعض اللحم فكان مثل اللحم الجديد من كل وجه وطبخ من البعض الآخر روستو فكان طريًّا واطيب طعماً من اللحم الجديد وهو مغذٍّ سهل الهضم . ومن رأيهِ ان طريقة كرافري افضل الطرق التي اشير بها الى الآن لحفظ اللحم من الفساد . وهذا رأي غيرهِ من العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع اي ان محلول الملح والحامض خليك يحفظ اللحم ولا يولد فيهِ مواد سامة ولكن يشترط ان تحقن بهِ اوردة الحيوان المذبوح بعد تصفية دمهِ حتي يقوم مقام الدم

باب الزراعة

مدارس الزراعة للبنات

اهالي البلجيك من اكثر الناس اجتهاداً واقتصاداً وحكومتهم تبذل اقصى جهدها في تعليمهم وتهذيبهم فتجد وسائل التعليم والتهذيب مسهلة لافقر الفلاحين كما هي مسهلة لاغنى التجار وقد يشتهر ابن الاول في العلوم والفنون اكثر مما يشتهر ابن الثاني لان موائد العلم مباحة للجميع يتناول كلٌّ منها على قدر استعدادهِ واجتهادهِ

ولم يكتفِ اهالي البلجيك بتعليم صبيانهم بل علموا بناتهم ايضاً كل ما يحتجن الى معرفتهِ واتصل اجتهادهم الى انشاء مدارس زراعية للبنات فان امرأة الفلاح وابنتهُ تعملان بالزراعة كما يعمل الفلاح وابنهُ فيجب ان تكونا على تمام الاستعداد لذلك بل ان جانباً كبيراً من اعمال الزراعة كحلب المواشي واستخراج الزبدة وعمل الجبن متعلق بالنساء لا بالرجال

وهذه المدارس تعلم البنات ايضاً كيفية تدبير بيوتهنَّ مع تعليمهنَّ مبادئ العلوم

الطبيعية ومبادئ الزراعة وتربية المواشي وتدبير الصحة بنوع عام

وتطبع نظارة الزراعة كتباً بسيطة في مبادىء تعليم الاطفال من كل سن وتنشر لهم مجلات علمية ادبية والتلامذة يتعلمون عشر ساعات كل اسبوع هذه الدروس النظرية وعشرين ساعة كل اسبوع دروساً عملية

اما المدارس الكبيرة المعدة لتعليم البنات علم الزراعة وتدبير المنزل وما يتعلق بهما فيتأهل فيها البنات لادارة الاباعد بعد ان يقضين فيها سنتين او ثلاثاً ويتأهلنَ لتدبير منازلهنَّ وتربية اولادهنَّ . ويكون اشتغالهنَّ على النسبة المتقدمة اي عشر ساعات كل اسبوع للعلوم النظرية وعشرين ساعة للعملية

ورواتب المعلمين والمعلمات في هذه المدارس طفيفة جداً يبتدئ راتب المعلم بالف ومئة فرنك في السنة ثم يزاد سنة بعد سنة الى ٢٥٠٠ فرنك لا غير ويبتدئ راتب المعلمة بالف ومئتي فرنك ويزاد الى ١٥٠٠ فرنك ويعطى المعلمات والتلميذات غرفاً ينمن فيها مع الفرش اللازمة وهنَّ يدبرن طعامهنَّ فتدفع كل واحدة منهنَّ ٢٥ فرنكاً في الشهر لواحدة تتولى ادارة الصندوق والانفاق على الطعام وتعمل الحساب كل شهر فاذا زاد شيءٌ للتلميذات مما دفعنهُ ردَّتهُ لهنَّ او نقلتهُ الى حساب الشهر التالي . ولا يدفع البنات اجرة تعليمهنَّ لان التعليم مجاني كلهُ وهنَّ يدبرن طعامهنَّ يطبخنهُ ويخدمنَ انفسهنَّ ويرتبن غرفهنَّ ويغسلن ثيابهنَّ ويكوينها ويخطنها ويرقعنها وبالاختصار يعملن كل اعمال البيت التي تعملها المرأة اذا لم يكن عندها خادمة . وحينما يتممن دروسهنَّ ويمتحنَّ تعطى لهنَّ شهادة

ويقسم التلميذات الى اربعة اقسام قسم يلتفت الى المواشي والفراخ واللبن والعلف ويحسب الاكلاف بالتدقيق . وقسم يلتفت الى عمل الجبن . وقسم يلتفت الى الاعتناء بالبساتين والحدائق وزرع الخضر والاشجار المثمرة وتربية النحل . وقسم يلتفت الى اعمال البيت . ويتناوبن هذه الاعمال حتى يمارسنها كلهنَّ . وهنَّ يتعلمن العلوم النظرية في الصباح ويعملن اعمال الزراعة بعد الظهر

وقد اطلعنا على صور البنات وهنَّ يعملن الاعمال المختلفة ففي احدى الصور تراهنَّ يغسلن الثياب وينشرنها . وفي صورة آخرى يستخرجن الزبدة من اللبن . وفي اخرى يحللن اللبن والزبدة ليعلمن جودتهما . وفي آخرى ينظرن في قفران النحل . وفي اخرى واقفات في المطبخ يطبخن الطعام

حفظ الاثمار

من الاثمار ما يسهل حفظهُ زمانًا طويلاً لسمك قشرتهِ كالبرتقال والبطيخ ومنها ما لا يحفظ الاَّ زمنًا قصيرًا كالمشمش والعنب وما اشبه . وسبب ما يصيب الاثمار من الاهتراء والتعفُّن الميكروبات التي تقع عليها وتنمو وتتكاثر فيها · والغالب ان يكون جلد الثمرة صفيقًا مانعًا لدخول الميكروبات ولو كان رقيقًا كجلد العنب فاذا لم تمسهُ يد تطعجهُ بقي سليمًا منها ولذلك فاول شرط لحفظ الفاكهة سليمة من الاهتراء والتعفُّن الاعتناء بحفظها من الترضض ولكن اذا كانت الاثمار كثيرة ولا بدَّ من ترضضها في قطفها ونقلها فلا بدَّ من واسطة اخرى تقيها من وقوع الميكروبات عليها ونموها فيها . واهالي لبنان يحفظون العنب مثلاً من الميكروبات برشهِ بماء الرماد والزيت فيكتسي طبقة زيتية رقيقة جدًّا تقيهِ من الميكروبات يفعلون ذلك متى ارادوا تجفيفهُ لعمل الزبيب منهُ . وبعضهم يغطسون عناقيد العنب في العسل او الدبس فتحفظ زمانًا طويلاً طرية خالية من الفساد

وقد استنبط احد الانكليز طريقة لحفظ الاثمار بتغطيسها في ماء بارد أُضيف الى كل مئة درهم منهُ ثلاثة دراهم من محلول الفرمول (formol) فاذا كانت الاثمار رقيقة القشر كالعنب والكرز تغطَّس في هذا السائل عشر دقائق فقط ثم تغطس خمس دقائق في الماء البارد وتنشر بعد ذلك على اطباق من السلك لكي تجف واذا كانت سميكة القشر ولا تؤكل قشرتها كالبرتقال فلا داعي لتغطيسها في الماء النقي بعد تغطيسها في محلول الفرمول فعسى ان تجرَّب هذه الطريقة هنا وفي بلاد الشام لحفظ الفاكهة من الفساد عند نقلها من بلاد الى أُخر

الاسفنج النباتي

يزرع هذا النبات في بلاد الجزائر واوران ولهُ ثمر يؤكل ولكنهُ يترك حتى يفوت زمن نضجهِ فتزول المادة التي تؤكل وتبقى منهُ مادة ليفية كالاسفنج تغسل وتقصر وتباع الاسفنجة منهُ بنحو غرش ولهُ سوق رائجة في باريس · واقليم الجزائر مشابه لاقليم القطر المصري فعسى ان تجلب تقاوي هذا النبات وتجرَّب زراعتهُ في هذا القطر

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

النساء والزواج

حضرات الافاضل منشئي المقتطف الاغر

بات الميل الى الزواج في البلاد المتمدنة والبلاد الآخذة في سبيل الحضارة اقلّ في هذا الزمان منهُ في الازمنة السالفة والذين يتزوجون انما يقدمون على الزواج متأخرين لاسباب مشتركة بين البلدان المختلفة او لاسباب خاصة ببلاد دون اخرى. وقد تناولت احدى مجلات السيدات الانكليزية هذا الموضوع واقترحت على السيدات البحث فيهِ فكتب اربع من المعروفات بينهن اليها يبدين آراءهنّ فيهِ ويوضحن الاسباب التي أفضت الى قلة زواج البنات في انكلترا فمنها ما هو خاصٌّ بانكلترا دون غيرها ومنها ما يشترك غيرها معها فيهِ فرأيت ان الخص تلك الاراء وابعث بها اليكم لتنشروها لعل لنا معشر النساء فائدة فيها وموعظة منها

(١) قالت الاولى ان النساء في انكلترا اكثر عدداً من الرجال بسبب الحروب التي لا تنقطع وقد جاءت حرب البوير الاخيرة ضغثاً على ابّالة فلا تستطيع كل امراة ان تجد زوجاً لها والذي أراهُ انهُ يجب على كل امراة ترغب في الزواج ألاَّ تكون كثيرة التأنق في اختيار الزوج بل ترضى بالنصيب الاول الذي يتسنى لها خشية ألا تصيب غيرهُ اذا رفضتهُ لا سيما وان الرجال باتوا قليلي الميل الى الزواج لفداحة مطالبهِ

وليس من ينكر ان الرجال باتوا قليلي الرغبة في الزواج وان النساء يتزوجن متأخرات ولكن تأخرهنّ عن الزواج ليس عيباً جوهريًّا على ما أرى فان كثيرين من الذين تزوجوا متأخرين في أنعم بال وارغد عيش وذلك لانهم تزوجوا بعد ان تمّ تكوين اذواقهم ونضج اخلاقهم . وفي مذهبي ان تاج عمر المرأة انما هو الزواج الحقيقي المبني على الحبّ الصحيح النقي الدائم . على انهُ ليس في طوق كلّ امرأة ان تلبس تاجاً من الذهب والتاج المقلد يتحول سلاسل وقيوداً تشين صاحبها وتذلهُ

وقد كان جدَّاتنا يقلن اذا كان الزواج قد قدّر للبنت تزوجت فخير لها ان تجلس في زاوية البيت امام النار وتنتظر . وفي هذا القول من الصواب ما فيهِ اذ كثيرًا ما يتفق ان افضل الازواج يأتي من مكان لا ننتظرهُ وفي ساعة لا نتوقعها . وكثيرًا ما يتفق ايضًا ان البنات اللواتي يفتشن عن ازواج لهنَّ بمساعدة امهاتهنَّ يأبن بصفقة الخاسر

(٢) وقالت الثانية ان من اعظم العوائق في سبيل الزواج الميل الى الترفه والسعي وراء المال فينسى الناس وجوه العيش التي هي اسمى مطلبًا واشرف غاية وبيت الحبُّ وهو لا يقوى على السموّ بصاحبهِ الى ذرى الفضيلة بل يصير حيوانيًّا شهوانيًّا

وترى الرجال الذين يقدرون المرأة الحقيقية قدرها يوجسون خيفة ان يأتمنوا المرأة العصرية على انفسهم لانهم يدرون حقيقة امرها . فقد يلتقي الواحد منهم بفتاة جميلة وديعة فيسرُّ بها عند اول دخولها الى العالم وامتزاجها بالهيئة الاجتماعية ولكنها هي نفسها تجد انها اذا شاءت ان يشار اليها بالبنان في الهيئة التي تنتظم فيها فلا غنى لها عن التخلق بكثير من الاخلاق العصرية وعن تقليد أترابها في حركاتهنَّ وسكناتهنَّ كأن يكثر كلامها ويقلُّ حياؤُها فاذا صارت الى ذلك فقدت جمالها وقوتها على اختلاب الالباب

وكثير من الرجال يفقدون الميل الى الزواج لانهم فقدوا الثقة بالنساء وهم شبان . وكثير يتمنون الزواج ويفضلون العيشة العائلية على العزوبة ولكنهم يحجمون عنهما لعلمهم ما هي المرأة العصرية عليهِ من الاسراف والتصنع مما ينفي السرور عن قلب الزوج ويبعد السعادة عن منزلهِ

ولعمري كيف يقدم الشاب على الزواج وهو يرى اسراف زوجات اصدقائهِ بعينيهِ ويسمع انين ازواجهنَّ باذنيهِ . ومن النادر ان تجد بنتًا تضحّي قسمًا من سعادتها على مذبح الحب اذ ان غرض البنات الاول ان يكون لهنَّ منازل كاملة الاثاث والرياش وان يوضع تحت امرهنَّ ما أردن من المال وان تطلق لهنَّ الحرية يقضين اوقاتهنَّ على ما يستصوبن بلا ممانع ولا رقيب. وايُّ رجل حرّ ابيّ النفس يرضى ان يأتمن على شرفهِ امرأة تشترك في كل حديث يدور امامها وتسرُّ بالقال والقيل وتقرأ الكتب التي تشين قارئها وتحطُّ من قدرهِ وادبهِ . بل ايُّ رجل صادق المحتد كريم المعشر يرضي ان تكون امرأة مثل هذه امَّ اولادهِ

على ان بين النساء كثيرات يقدرن الزواج قدرهُ ولا يسلمن قلوبهنَّ الى اول طالب او خاطب بل ان بينهنَّ من يؤْثرن البقاء عوازب اما لشعورهن بثقل مسأولية الزواج وعدم قدرتهنَّ على احتمالها واما لانهنَّ لا يجدن الرجل الملائم لهنَّ . وقد جرت عادة اهل هذا

الزمان ان يقولوا ان المرأة هي ما يريد الرجل ان تكون وهذا القول صحيح من بعض الوجوه واصحُّ منهُ ان الرجل هو ما تريد المرأة ان يكون

(٣) وقالت الثالثة ان النساء في انكلترا اكثر من الرجال ولما كان تعدُّد الزوجات ممنوعاً فلا تجد كلُّ امرأة زوجاً لها. وجمهور النساء يفضلن الزواج على العزوبة بشرط ان يجدن الاكفاء لهنَّ ولكن كثيرات منهنَّ لا يجدن الاكفاء والوفا من الفتيات البارعات الجمال الشريفات المحتد الساميات التهذيب الرائعات الادب لم تمدَّ اليهنَّ يد خاطب لقلة طالبي الزواج

هذا وقد كثرت نفقات المعيشة بسبب ميل النساء الى الاسراف حتى بات الرجل المتوسط وهو لا يطيق الصبر على تلك الحال وصار من لوازم طالب الزواج ان يكون ذا مال حتى انك قلما ترى شاباً يطلب فتاة و يتزوجها لسواد عينيها بل لصفرة جيبها

ومما يذكر في هذا الصدد ان بنت العصر الحاضر تختلف عن بنت العصر السالف في نظرها الى الزواج فقد كان البنات فيما مضي يعددن كلَّ رجل بطلاً كريماً و يفتحن اذرعهنَّ وقلوبهنَّ لاول طالب لان غرضهنَّ الاعظم من هذه الحياة كان الحصول على الازواج والاولاد وكانت تراهم غاية الغايات . اما بنت هذا العصر فلا تخرج من المدرسة الأ وقد عقدت النية على عمل تعملهُ بعد خروجها من المدرسة فلا تتزوج الأ اذا صادفت رجلاً مستوفياً الشروط اللازمة لأن يكون منهُ بعل يعرف مصلحة الزواج فهي تحتقر الحب والمحبين وتزدري ما يرد في الروايات الغرامية عن العشاق والمعشوقين

(٤) وقالت الرابعة كان نساؤنا قبلاً يربّين على حسبان الرجل المخلوق الوحيد الذي يجب الاهتمام برفاهتهِ وكنَّ يُعلَّمن ان الخليقة خلقت لهُ وان الشمس جعلت لتنير لهُ نهاراً والقمر لينير لهُ ليلاً وان المرأة اشهى اثمار الكون انما سخّرت لتطييب قلبهِ وخدمتهِ . اما نساء هذا الزمان فقد رفعن تلك الغشاوة عن ابصارهنَّ وادركن انهنَّ مساويات للرجال في جميع الحقوق المدنية والادبية فلا عجب بعد هذا اذا رأيناهنَّ يعاملن الرجال بمثل ما يريد الرجال ان يعاملوهنَّ ان خيراً فخير وان شرًّا فشرٌّ

وعندي ان اهمَّ الاسباب التي تجعل النساء يحجمن عن الزواج اهتمام الرجال والنساء معاً ان يظهروا احسن حالاً مما هم عليهِ حقيقة و بعبارة اخرى "كساد فنّ الحبّ" فان الحبَّ فنٌّ جميل اجدر بزمن اكثر بساطة واقلَّ غشاً وفساداً من الزمن الحالي. وغاية ما اقول انهُ اذا كان لك هذا الفنُّ فكلُّ ما يقف الآن عثرة في سبيل الزواج يسهل تمهيدهُ واذا لم يكن لك فاخلق بك أن تنبذ فكر الزواج من رأسك قصياً (احد قارئات المقتطف)

دلالة السحنة

اذا كان وجه المريض رائقاً ساكناً فبشرهُ واهلهُ بخيرٍ الاَّ اذا حدث ذلك فجأة بعد مرض اشتدت آلامهُ واوصابهُ. واذا كان وجههُ جامداً وعيناه ثابتتين برَّاقتين فالعاقبة مشومة

وتلوّي الوجه دليل اضطراب في البطن . وصفرتهُ مع برد الاذنين ودقة الانف وغور الصدغين منذر بالوبال . وتغضُّن الجبين وانقباض الاجفان دليل اضطراب في الراس . وضيق الانف ورجفان فتحتيهِ نذير رديء

دلالة الهذيان

الغالب ان يكون الهذيان علامة مشومة ولكنهُ كثير الحدوث حتى في الحميات الخفيفة التي تصيب الاطفال ذوي الامزجة العصبية. واذا كان الهذيان يظهر بارتفاع حرارة المريض ويزول بهبوطها فلا خوف منهُ . واذا عقب نزف الدم والعرق الغزير وصحبهُ انحطاط في القوى واصفرار في الوجه فهو علامة سيئة . وكذلك اذا كان الهذيان خفيفاً والنبض ضعيفاً او اذا انقطع الهذيان فجأة وكان النبض والتنفُّس غير منتظمين . اما اذا عقب الهذيان نوم هنيء فالمريض صائر الى احسن

دلالة الألم

اذا دام الألم في موضع من الجسم دلَّ على تطرُّق الخلل اليهِ وعلى قرب تكوُّن المدة فيهِ . واذا زاد الألم بالضغط دلَّ ذلك على حصول الالتهاب . اما في المغص والنفرالجيا والالتهابات البسيطة فان الضغط لا يزيد الألم بل يقللهُ على الغالب . واذا لم يشعر المريض بالالم في الامراض التي يصحبها الالم عادة دلَّ ذلك على ضغط على الدماغ . واذا خفَّ الالم بغتةً وكان هناك اعرض أُخرى تستدعي قلق البال فحالة المريض غير محمودة

دلالة النوم

اذا كان نوم المريض طبيعيًّا حمل على اطمئنان البال من جهتهِ . اما الارق فليس محموداً الاَّ اذا نشأ عن آلام موضعية ليست بذات بال فلا خوف منهُ حينئذٍ . وتقلب المريض عند النوم علامة سيئة وكذلك استيقاظهُ فجأة بعيد النوم فانهُ قد يدلُّ على مرض في القلب . واذا طال استغراق المريض في النوم دلَّ ذلك على ضغط على الدماغ واذا وقع المريض في سبات عميق فحالهُ ذات خطر ولا سيما اذا جاء ذلك بعد الهذيان

عيادة المريض

لا تدخل غرفة مريض وانت متعب عرقان ان كنت تنوي البقاء عندهُ طويلاً لانهُ متي برد جسمك بات عرضة للعدوى وكذلك لا تعد مريضاً وانت جائع ولا تعدهُ قبلما تنظَّف غرفتهُ وتهوى صباحاً لان هواء الغرفة يكون محملاً بجراثيم المرض قبل تهويتها اكثر منهُ بعدها

متى خرجت من غرفة المربض فتناولِ قليلاً من الطعام وبدّل ملابسك بأُخرى

حفظ الصوف والفراء من العث

وجدنا بالاختبار ان اسهل طريقة لوقاية ثياب الصوف والفراء من العث كل مدة الصيف ان توضع في اكياس من البفت (الخام) وتخاط بعد لفقها حتى لا تبقى ثقوب لدخول فراش العث منها . ولا بدَّ من تنظيف الثياب من كل ما يكون عالقاً بها لئلا يكون العث قد ضر بها وبقي فيها

حفظ جلود الحيوانات

اسحق الشب الازرق (كبريتات النحاس) حتى يصير ناعماً وامزج المسحوق بالماء وادهن بهِ باطن الجلد فلا تعود الحشرات تضر بهِ ويحسن ان يمزج الدرهم من الشب الازرق بدرهمين من الشب الابيض فان هذا المزيج يتحد بمادة الجلد فيدبغ بهِ دبغاً

باب التقريظ والانتقاد

البحث في سيناء

Researches in Sinai

الاستاذ بتري من اشهر علماء الآثار المصرية ونحوها مما يوجد في هذه الديار والديار الشامية . وقد كلّف البحث في شبه جزيرة سيناء في الشتاء الماضي . فان ملوك مصر كانوا يستخرجون النحاس والفيروز من مناجم سيناء وقد تركوا في تلك البلاد نقوشاً وآثاراً كثيرة ظاهرة للعيان ولا بدَّ من ان يكون فيها ايضاً آثار مطمورة او مخفية فكلّف البحث عنها كلها ودرسها درساً علمياً. فقصد سيناء في الثالث من ديسمبر الماضي ووصل وادي المغارة في العاشر

منهُ وانتقل منهُ الى وادي السرابيت وعاد الى السويس في الثالث والعشرين من مارس بعد ان اكتشف آثارًا كثيرة وصوَّرها وبحث فيها بحثًا علميًّا واستنتج منها نتائج كثيرة يصلح بها تاريخ مصر وتوضح بعض الامور الغامضة فيهِ وتحقق بعض المسائل المختلف فيها ووضع في ذلك كتابًا مسهبًا سماهُ البحث في سيناء . ومن المسائل التي حققها مسألة اقامة بني اسرائيل في برية سيناء وارتحالهم فيها وعددهم . وكل ما يتعلق بذلك من المباحث . وقد لخصنا كلامهُ في هذا الموضوع في مقالة ادرجناها في اول هذا الجزء

ومنها مسألة زمن الدول المصرية التي كثر الخلاف فيها فان شمبوليون جعل زمن الدولة الاولى سنة ٥٨٦٧ قبل المسيح ولبسيوس سنة ٣٨٩٢ قبل المسيح وبرغش سنة ٤٤٠٠ قبل المسيح ومريت سنة ٥٠٠٤ قبل المسيح . اما بتري فجعل بداءة حكم الدولة الاولى سنة ٥٥١٠ وهاك ازمنة الدول العشر الاول حسب تقدير هؤلاء العلماء

	شمبوليون	بسيوس	برغش	مريت	بتري
(١)	٥٨٦٧	٣٨٩٢	٤٤٠٠	٥٠٠٤	٥٥١٠
(٢)	٥٦١٥	٣٦٣٩	٤١٣٢	٤٧٥١	٥٢٤٧
(٣)	٥٣١٨	٣٣٣٨	٣٩٦٦	٤٤٤٩	٤٩٤٥
(٤)	٥١٢١	٣١٢٤	٣٧٣٣	٤٢٣٥	٤٧٣١
(٥)	٤٦٧٣	٢٨٤٠	٣٥٦٦	٣٩٥١	٤٤٥٤
(٦)	٤٤٢٥	٢٧٤٤	٣٣٠٠	٣٧٠٣	٤٢٠٦
(٧)	٤٢٢٢	٢٥٩٢	٣١٠٠	٣٥٠٠	٤٠٠٣
(٨)	٤١٧٤	٢٥٢٢	—	٣٥٠٠	٣٩٣٣
(٩)	٤٠٤٧	٢٦٧٤	—	٣٣٥٨	٣٧٨٧
(١٠)	٣٩٤٧	٢٥٦٥	—	٣٢٤٩	٣٦٨٧

ويستمر الخلاف كذلك الى زمن الدولة الثالثة عشرة ثم يقل بعدها فان لبسيوس مثلاً اضطرَّ ان يجعل الرابعة عشرة قبل الثالثة عشرة حتى يقرب زمن الدولة الاولى . ودليل بتري في تعيين زمن هذه الدول تاريخ منيثو وشروق الشعرى في اوقات معينة يمكن الاستدلال على زمانها بالحساب الفلكي ففي الرق المنسوب الى ايبرس مثلاً يقال ان الشعرى اشرقت عند الفجر في اليوم التاسع من شهر ابيب في السنة التاسعة من ملك امنهوتب الاول ويظهر بالحساب الفلكي ان تلك السنة كانت سنة ١٥٤٦ قبل المسيح ولذلك فقد رقي امنهوتب سدَّة الملك

سنة ١٥٥٤ ثم ان سلفهُ احمس ملك ٢٥ سنة فالدولة الثامنة عشرة ابتدأَت سنة ١٥٧٩ قبل المسيح . ومعلوم ان هذا الحساب تقريبي ولكنهُ يتقدَّم او يتأَخر بضع سنوات فقط لاختلاف الاماكن التي رصدت منها الشعرى . ومثل ذلك شروق الشعرى في ١٧ برموده في السنة السابعة من ملك سنوسرت الثالث على ما في درج الكاهون وهو الآن في برلين فان ذلك يوافق سنة ١٨٧٤ قبل المسيح او سنة ٣٣٣٤ قبل المسيح . ثم يعلم من اماكن اخرى ان سنوسرت ملك ٣٨ سنة وامنمهات الثالث ٤٤ سنة وامنمهات الرابع ٩ سنين وسبكنفرو ٤ سنين فانتهت الدولة الثانية عشرة سنة ١٧٨٦ قبل المسيح او سنة ٣٢٤٦ قبل المسيح فعلى الفرض الاول يكون زمن الدولة الثالثة عشرة الى الثامنة عشرة ٢٠٦ سنوات وعلى الثاني يكون ١٦٦٦ سنة لكن سلسلة الملوك المذكورة في جدول تورين تستدعي ان تكون المدة اطول من ٢٠٦ سنوات والاَّ لزم ان يحكم ١٢٠ ملكاً في مدة ٤٦ سنة فقط ولا يكون للهكسوس الاَّ ٣٠ سنة وهذا ضرب من المحال والمدة الثانية وهي ١٦٦٦ سنة طويلة جدًّا فرفضها العلماء لطولها ولكن اتت آثار سيناء الآن مؤيدة لها لانها ابانت ان دلالة الشعرى صحيحة لا ريب فيها

والكتاب على هذا النسق من التحقيق عدا ما فيهِ من الوصف الدقيق وفيهِ ١٨٦ صورة بعضها فوتوغرافي وبعضها منقول عن صور فوتوغرافية واربع خرائط وثمنهُ ٢١ شلناً

ابو سمرا غانم

ابو سمرا بطل من ابطال لبنان الذين قاوموا ابرهيم باشا وكان لهم يد في اثارة الاهالي عليهِ واخراجهِ من بلادهم. ولا بدَّ من ان كثيرين رأَوا اسمهُ في تواريخ لبنان وودوا الوقوف على اخبارهِ بالتفصيل فوضع حضرة خليل افندي همام فائز كتاباً في هذا الموضوع جمع فيهِ اخبار ابي سمرا من حين ولادتهِ سنة ١٨٠٢ الى حين وفاتهِ سنة ١٨٩٥ واخبار جبل لبنان في تلك المدة وما حدث فيهِ من الحروب والثورات الاهلية . والحقهُ بكتب التعزية والمراثي التي وردت على ارملة ابي سمرا من الكرادلة والبطاركة والمطارنة والشعراء والادباء. ولقد احسن في نشرهِ بعض الكتابات الرسمية والاغاني الوطنيَّة بلغتها الاصلية كصورة المحالفة بين الدروز والنصارى وباقي الطوائف اللبنانية سنة ١٢٥٦ هجرية حين اجتمعوا في كنيسة مار الياس انطلياس واقسموا على مذبحهِ ان لا يخونوا بعضهم بعضاً وكقصيد القوَّال يوسف المعلوف . وحبذا لو اكثر من هذه الكتابات والقصائد فان الموجود في ايدي الناس من الكتابات لا يلبث ان يفقد ان لم يجمع وينشر والمحفوظ في الصدور من القصائد كثير وهو احسن

تاريخ لحوادث لبنان ولكنهُ سينسى حتماً اذا لم يحفظ في بطون الاوراق . هذا واننا نثني على همة ناشر الكتاب وعسى ان يقتدي بهِ غيرهُ فينشروا ترجمة الشنتيري ويوسف بك كرم وغيرهما من ابطال لبنان متحرين صدق الرواية ومقتصرين على ما ثبت بالتواتر لكي يكون ما يثبتونهُ سندًا للمؤَرخين والباحثين في احوال العمران

الثروة العقارية في القطر المصري

وضع حضرة الدكتور الفرد عيد رسالة في هذا الموضوع رفعها الى نظارة الخارجية في مملكة بلجكا سنة ١٩٠٥ ابان فيها بالادلَّة الكثيرة قيمة العقارات المصرية من اطيان وبيوت واراضي بناء. ويظهر منها ان ثمن اطيان القطر المصري نحو ٣٥٢ مليونًا من الجنيهات وقال ان هذا الثمن سيزيد للاسباب التالية وهي (١) ان الاعمال الجارية في الوجه القبلي قد غيرت كثيرًا من اطيان مديرتي المنيا وبني سويف التي كانت تروى بماء الفيضان فقط فجعلتها تروى ريًّا صيفيًّا (٢) ان الاصلاح في الاراضي المزروعة الآن جارٍ بدون انقطاع ومن شأنهِ زيادة قيمتها في وقت قريب (٣) يوجد نحو مليون فدان بور تنتظر الري لتزرع (٤) يوجد عدا ذلك نحو مليون و ٩٠٠ الف فدان يمكن زرع جانب كبير منها بعد اصلاحهِ

اما الاملاك في القاهرة والاسكندرية ومدن القنال ومدن الوجه البحري ومدن الوجه القبلي فتقدَّر قيمتها بسبعين مليون جنيه بالنسبة الى عوائد الاملاك ولكنهُ قدَّر املاك القاهرة وحدها بخمسة وسبعين مليون جنيه. واذا كانت املاك بقية المدن تقدَّر هذا التقدير بلغت قيمتها نحو ثمانين مليون جنيه فتكون قيمة الاملاك كلها نحو ١٥٥ مليون جنيه وعليهِ فقيمة الاطيان والاملاك نحو خمس مئة مليون جنيه . ونظن ان هذا التقدير معتدل جدًّا اي ان الاطيان تساوي نحو ٣٥٠ مليونًا من الجنيهات لان ريعها السنوي يبلغ الآن نحو خمسين مليونًا من الجنيهات يحسب منها ثلاثون مليونًا اجرة المشتغلين بالزراعة والقائمين على خدمتها من ناظر الاشغال العمومية ومفتش الري الى ناظر الزراعة والكلاَّف والنفر. والاملاك تساوي نحو مئة وخمسين مليونًا

ولكن مجموع ديون الحكومة وديون الاهالي يبلغ نحو ١٥٠ مليونًا فتكون ثروة الاهالي ٣٥٠ مليونًا فقط وهم الآن نحو ١٢ مليونًا من النفوس فمتوسط ثروة الفرد منهم نحو ثلاثين جنيهًا لا غير اي عشر ثروة الفرد في بلاد الانكليز . وبلاد يبلغ دينها نحو ثلث ما تمتلكهُ او ربع ما تمتلكهُ لا تعدُّ غنية ولا يصيب مَن يتمادى في اقراضها الاموال

المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي

القاضي قرين الكاهن تولَّدا في الاجتماع البشري على نسق واحد وادَّعيا كلاهما ان سلطتهما الهيَّة ثم جعلا يتنازلان عن عرشيهما الى ان اعترفا ان وظيفتيهما من جملة الاساليب المتولدة في الاجتماع البشري لحفظ كيانهِ . فيجب ان تخضعا للبحث والمقابلة ليرى مقدار نفعهما كما خضعت اساليب الطب والعلاج واساليب الحرث والزرع . فان كان قصاص السارق بالقطع او بالسجن او بالغرامة افيد من غيرهِ للاجتماع البشري وجب العمل بهِ والاَّ وجب العدول عنهُ الى غيرهِ

وقد اطلعنا الآن على خطبة موضوعها المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي لحضرة الاصولي علي بك ابي الفتوح المفتش بالنيابة العمومية ووكيل النائب العمومي القاها في حفلة كبرى لنادي المدارس العليا في ٢٥ مايو الماضي وابان فيها النهضة الحديثة التي نهضها علماء القانون الجنائي لاجل اصلاحهِ ولاسيما بعد ان قال لمبروز ان ارتكاب الجناية عمل يأتيهِ الجاني مدفوعاً اليهِ بميل وراثي فيهِ فهو كالشيب الباكر او كقصر القامة او كضعف الذاكرة لا يسأل صاحبهُ عنهُ وانما يحوّط بما يمنع ضررهُ عن غيرهِ او مرفوعاً بعوارض مرضية "تعرض لهُ كما يعربد السكران ويتشنج المصروع . وقد قال الخطيب او الشارح لخطبتهِ ان العلماء بحثوا هذا المذهب بكل دقة واعتناء وانتهوا بطرحهِ ظهريًّا لانهم تحققوا فساد اساسهِ". والذي نعلمهُ ان الذين يؤيدونهُ لا يزالون كثارًا ولعلهم اكثر من الذين رفضوهُ . وقال ان المذهب الاجتماعي الجديد يمكن تلخيصهُ في اربع قواعد الاولى اتساع دائرة العلوم الجنائية من حيث تقسيمها وطريقة بحثها . والثانية الاهتمام بصفة الجاني اكثر من الاهتمام بالجناية . والثالثة تضييق دائرة العقاب الاعتيادي وايجاد وسائل أُخرى غيرهِ لمقاومة الجريمة . والرابعة تنظيم العقوبة طبقاً للغرض المقصود منها اعني حماية الهيئة الاجتماعية من المجرمين . ثم شرح هذه القواعد شرحاً مسهباً وابان ما استنتجوهُ منها كصرف النظر عن الجرائم الصغيرة التي تحصل ضد الاملاك اذا عرض المتهم علي صاحب الملك ما خسرهُ في الوقت المناسب وابطال مفعول الاحكام على العموم بمضي المدة وابطال العقوبات التي تكون بالحبس لمدد قصيرة وابدالها بالغرامات . ولكن يظهر لنا ان الغاء اكثر القوانين وابدالها بقوانين اخرى مبنية علي ما عُرف من درس طبائع الناس وشرائع الاجتماع اسهل من اصلاحها وترقيعها على هذه الصورة فقد ابنَّا غير مرة ان العقاب الذي يحكم بهِ القضاة مبني على سهولة تذكرهم لعدد السنين لا على

استحقاق الجريمة فيحكمون على الجاني مثلاً بسجن سنتين او ثلاث سنوات او خمس سنوات ولكنهم لا يحكمون بسجن سنتين وسبعة اشهر ولا سنتين وثمانية اشهر ولا سنتين واحد عشر شهرًا ولا ثلاث سنوات وشهر ولا ثلاث سنوات وشهرين الخ مع ان جرائم الالوف من الجانين تتفاوت جسامة ويجب ان تتناول كل درجات العقاب من ادناها الى اعلاها ولكن القاضي يتذكر السنة والسنتين والثلاث اكثر مما يتذكر سنتين وسبعة اشهر وسنتين واحد عشر شهرًا . وقس على ذلك امورًا كثيرة في القضاء لا تنطبق على علم طبيعي ولا اجتماعي

والخطبة نفيسة تستحق ان تتلى بالامعان

الاقلام

صدرت في غرة الشهر الماضي مجلة جديدة اسمها الاقلام لحضرة منشئيها الاديبين جورج افندي طنوس احد محرري جريدة الوطن ومحمود افندي ابو حسين . وهي ” مجلة عمومية تبحث في كل فن ومطلب و يشترك في تحريرها خيرة الشعراء والمنشئين “ ومن قصائد العدد الاول قصيدة بليغة عنوانها ” الاقلام “ نظمها حضرة الشاعر المطبوع مصطفى افندي لطفي المنفلوطي وها هي بنصها الشائق

يا يراعي لولا يدٌ لك عندي   عفت في نظم وصفك الاشعارا
يا يراع الاديب لولاك ما اصـ   ـبح حظ الاديب يشكو العثارا
غير اني احنو عليك وان لم   تك غوثًا في النائبات وجارا
انت نعم المعين في الدهر لولا   انَّ للدهر همة لا تجارى
انت نعم الصديق في العيش لولا   انَّ للبؤس بيننا اوطارا
فلك الله من شهاب اذا ما   اظلمت ليلة الهموم انارا
يتمشى في الطرس مشية شيخ   مطرق الرأس يجمع الافكارا
او حبيب سرى لوعد حبيب   يلبس الليل خيفة وحذارا
يتجلى في نقسهِ الجون شمسًا   في دجى الليل تبعث الانوارا
جمع الله فيهِ بين نقيضـ   ـين فكان الظلام منهُ نهارا
فهو حينًا نار تلظى وحينًا   جنة الخلد تنثر الازهارا
وتراهُ ورقاء تندب شجوًا   وتراهُ رقطاء تنفث نارا
وتراهُ مغنيًا ان شدا حرَّ   ك بين الجوانح الاوتارا

وتراهُ مصوّرا يرسم الحسن ويغري برسمهِ الابصارا
فتخال القرطاس صفحة خدّ وتخال المداد فيهِ عذارا
هو جسر تمشي القلوب عليهِ لتلاقي بين القلوب قرارا
صامتٌ تسمع العوالم منهُ ايّ صوت يناهض الاقدارا
فهو كالكهرباء غامضة الكنه وتبدو بين الورى آثارا

⁂

كم أثار اليراع خطباً كميناً   وامات اليراع خطباً مثارا
قطرات من بين شقيهِ سالت   فاسالت من الدما انهارا
كان غصناً فصار عوداً ولكن   لم يزل بعدُ يحمل الأثمارا
كان يستمطر السماء لخال الا   مر فاستمطر العقول الغزارا
يسعد الناس باليراع ويلقى   ربهُ ذلة بهِ وصغارا
واشقاء الاديب هل وتر الدهر فلا زال طالباً منهُ ثارا
أرفيقُ المحراث يحيي سعيدا   ورفيق اليراع يقضي افتقارا
ما جنى ذلك الشقاء ولكن   قد اراد القضاء امرًا فصارا
ليس للنسر من جناح اذا لم   يجد النسر في الفضاء مطارا
حاسبوهُ على الذكاء وقالوا   حسبهُ صيتهُ البعيد فخارا
اوهموهُ ان الكلام ثراء   فغدا يسحب الذيول اغترارا
يحسب النقد للقصيدة نقداً   ويرى البيت في القصيدة دارا
ليس بدعاً من هائم في خيال   ان يرى كل اصفر دينارا
إن بين المداد والحظ عهداً   وذماما لا يلتوي وجوارا
فاللبيب اللبيب من ودّع الطر   س وولّى من اليراع فرارا

ومن القصائد قصيدة رقيقة في "القمر" لحضرة الشاعر النابغ مصطفى افندي صادق الرافعي وقصيدة عنوانها "عظة بالغة" او صورة من صور الشقاء الاجتماعي في الشرق لحضرة الشاعر المجيد احمد افندي محرّم . ومن مقالاتها مقالة في "اليد اليمنى" واخرى في "العناية بالعين" لحضرة الدكتور اسكندر جريديني

فنثني على همة صاحبها وندعو لها بالرواج والانتشار . وقيمة اشتراكها ٤٠ غرشاً صاغاً في القطر المصري و١٥ فرنكاً خارجهُ

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر يوليو ١٩٠٦

	يوم	ساعة	دقيقة
البدر	٦	٦	٢٨ صباحاً
الربع الاخير	١٣	٠	١٣ مساءً
الهلال	٢١	٢	٥٩ "
الربع الاول	٢٨	٩	٥٦ "

السيارات

يرى عطارد ساعة ونصف ساعة بعد الغروب

وتغرب الزهرة الساعة التاسعة

ولا يرى المريخ لقربهِ من الشمس

والمشتري نجم الصباح الشهر كلهُ

ويشرق زحل الساعة ١٠ مساءً في اول الشهر وقبل ذلك بساعتين في اخرهِ

بحرية اليابان

رأت اليابان انها تغلبت على الروس باسطولها وان لا بدَّ لها من ان تكون دولة بحرية حتى تحفظ مقامها بين الدول الكبرى فاهتمَّت بانشاء الترسانات (دور الصنعة) في بلادها حتى تستغني بها عن الترسانات الاوربية. وقوة اسطولها الآن ٣٥٦٨٧١ طنًّا وفيهِ احدى عشرة بارجة مجموع قوتها ١٥٤٢٦٨ طنًّا وهي اربع من بوارجها التي جازت الحرب وخمس من البوارج التي غنمتها من روسيا وبارجتان صنعتهما في انكلترا بعد الحرب قوة كلٍّ منهما ١٦٣٥٠ طنًّا وفي كل منهما اربعة مدافع من عيار ١٢ بوصة واربعة من عيار ١٠ بوصات و ١٢ من عيار ٦ بوصات فهما اقوى البوارج التي تخوض البحار الآن. وطرَّاداتها ثلاث درجات في الدرجة الاولى الطرادات المدرعة التي محمول كلٍّ منها ٧٠٠٠ طن فصاعداً وهي عشرة ومنها طراد قوتهُ او محمولهُ ١٣٠٠٠ طن وقد بُني في اليابان. وفي الدرجة الثانية تسعة طرَّادات محمولها من ٣٥٠٠ طن الى ٧٠٠٠ وفيها اثنان اصلهما من طرادات الروس. وفي الثالثة ثمانية طرادات. وجملة طراداتها ٢٧ مجموع قوتها ١٤٩٢٧٤ طنًّا. وهي تبني الآن بارجتين محمول كلٍّ منها ١٩٠٠٠ طن واربعة طرادات كبيرة محمول كلٍّ ١٣٠٠٠ طن اتمَّت اثنين منها وستتم الاثنين الآخرين قريباً وثلاثة طرادات اصغر منها وكل ذلك يبنى في ترساناتها. وستكون الثالثة بين الدول البحرية

بحرية روسيا

قررت الحكومة الروسية بناء ١١٨ سفينة جديدة في التسع السنوات الآتية منها ١٢ مدرعة و١٥ طرّاداً و٤٦ نسّافة و١٠ غواصات و٧ مدفعيات و٩ من الطراز المعروف باسم مونيتور وهو قريب من المدفعيات وسفينة لوضع الالغام

وهذه السفن ستوزع على بحر البلطيق والبحر الاسود واما الشرق الاقصى فلم يعيّن لهُ سوى ٦ مدفعيات من سفن خفر السواحل سعة كلٍّ منها الف طنٍ و٩ مدفعيات اصغر منها للمخر في انهر شمال سيبيريا مما يشير الى عزم روسيا على ترك الشرق الاقصى وشأنهُ في الاحوال الحاضرة

وكلفة هذا الاسطول الضخم نحو ٤٠ مليون جنيه فاذا أُضيفت الى ما تنفقهُ البحرية الروسية كلَّ سنة من السنوات التسع القادمة وُجد ان متوسط ميزانية روسيا البحرية كلَّ سنة من السنوات المذكورة ١٦ مليون جنيه

التنفُّس في الاماكن العالية

زعم بعضهم منذ عشرين سنة ان اعلى علوّ يستطيع الانسان بلوغهُ مع تمتعهِ بجميع حواسهِ ٢٩٥٢٣ قدماً وان الغالب ان يصاب المصعّد في الجبال او راكب البلون بالاغماء عند بلوغهِ علوّ ١٩٦٨٣ قدماً فلا يعود يشعر بشيءٍ . ولكن قام المسيو بول برت الفرنسوي بعد ذلك وابان انهُ يمكن المصعّد في الاعالي ان يجتنب خطر الموت من قلة الاكسجين في الهواء بتنفسهِ الاكسجين الاصطناعي ففعل المسيو بسّون والمسيو سورنغ ذلك عند ركوبهما البلون من ستراسبرج منذ ثلاث سنوات فبلغا علوّ ٣٤٧٧٠ قدماً ولكن احدهما أُغمي عليهِ حينئذٍ

وظهر من تجارب الاستاذ مسُّو الايطالي وتلميذهِ المسيو اجازوتي ان استنشاق الاكسجين الصناعي وحدهُ لا يكفي في الصعود الى الجوّ بل لا بدَّ من استنشاق كمية معلومة من غاز الحامض الكربونيك معهُ . وتجربة المسيو اجازوتي هي انهُ جلس في غرفة مجهزة بمفرغة للهواء وحول رأسهِ غطاءٌ لهُ مصراعان الواحد لاخراج الهواء الذي يفسد بالتنفس والآخر لادخال هواءٍ نقيٍّ استحضرهُ لهذه الغاية وفيهِ ٦٧ في المئة من الاكسجين و١٣ من الحامض الكربونيك و٢٠ من النتروجين ففرغ الهواء اولاً حتى صارت قوة ضغطهِ ٤٤٠ مليمترًا وهي تساوي قوة ضغط الهواء على علوّ ١٦٠٠٠ قدم فلم يبدُ عليهِ تأثر من ذلك حتى بلغت قوة الضغط ٣٦٠ مليمترًا فظهرت عليهِ اعراض الاسفكسيا اي الاختناق من قلة الهواء فأُدخل الى الغطاء الذي حول رأسهِ حينئذٍ مزيج الهواء المشار

اليهِ فانتعش حالاً ثم فرّغ الهواء من الغرفة حتى صارت قوة ضغطهِ تساوي ١٢٢ مليمترًا فاحتمل المسيو اجازوتي ذلك وهنا انتهت التجربة . وقد قال عند خروجهِ من الغرفة انهُ كان يستطيع ان يحتمل الهواء على الطف من ذلك وانهُ لم يفقد شيئًا من ذاكرتهِ ولا من قوتهِ

واعاد هذه التجربة مرة اخرى حديثًا ففرّغ الهواء حتى صار يقابل الهواء على علوّ ٩ اميال اي أعلى مما بلغهُ الانسان بميلين ونصف ومع ذلك احتملهُ . ولا بدَّ ان هذا الاكتشاف يعود بفائدة عظيمة على العلم في المستقبل القريب

سمنت بورتلند

ذكرنا في باب الصناعة كثرة استعمال هذه السمنت للبناء ثم وقفنا على بعض الحقائق المتعلقة بهِ وهي ان السمنت قديم الاستعمال جدًّا كان الكلدانيون والمصريون واليونان يستعملونهُ من قديم الزمان كما كانوا يستعملون الجير (الكلس) وذلك انهم رأوا انهُ اذا كان في الحجارة الكلسية طفال (دلغان) وحرقت كان منها جير يجمد تحت الماء وهو المعروف الآن بالسمنت . الاَّ ان القدماء كانوا يحسبون ان السمنت لا يكون شديد الصلابة الاَّ اذا صُنع بحرق حجارة شديدة الصلابة وظلوا على هذا الظن الى القرن الثامن عشر حين اراد مهندس انكليزي اسمهُ سميتون ان يبني المنارة المعروفة باديستون فامتحن كثيرًا من انواع السمنت المائي ليعلم ايها اصلح لبناء اساس تلك المنارة فوجد ان قوة السمنت تتوقف على مقدار الطفال في الحجر الكلسي لا على صلابة الحجر . وكان في جزيرة بورتلند جنوبي انكلترا مقالع حجارة كلسيَّة قديمة فجعل واحد اسمهُ اسبدن يحرق الحجارة الكلسية والطفال فيتكوَّن منها سمنت يتصلب بعدما يجبل بالماء و يصير مثل حجارة بورتلند فسمي سمنت بورتلند . ومن ثم شاع استعمال هذا السمنت وكثرت المعامل لعملهِ في اوربا ثم في اميركا

و يصنع سمنت بورتلند الآن بمزج الحجارة الكلسية بتراب دلغاني اي سليكي وسحقهما معًا وتكليسهما ثم سحق المادة المتكونة منهما سحقًا ناعمًا جدًّا

صادرات اميركا الزراعية

بلغت صادرات اميركا الزراعية في ثمانية اشهر آخرها سلخ فبراير الماضي ٧٠٠ مليون ريال (١٤٠ مليون جنيه) يقابلها ٨١ مليون جنيه سنة ١٨٩٦ و ١١٤ مليونًا سنة ١٩٠٠ و ١٣٣ مليونًا سنة ١٩٠٢ و ١١٣ مليونًا سنة ١٩٠٥

ومعظم هذه الزيادة في اهم الصادرات الاميركية وهي الحبوب والقطن ولحوم المواشي

وألبانها . واعظمها في الحبوب فقد بلغت فيها ١٤ مليون جنيه ثم اللحوم والالبان فبلغت ٦ ١/٢ مليون ثم القطن فبلغت ٦ ملايين

ومعظم الزيادة في الصادرات الى الممالك الاوربية واخصها انكلترا وفرنسا والمانيا وايطاليا وروسيا والى كندا في اميركا. واما الصادرات الى البلجيك واليابان وهولندا والمكسيك فنقصت

ومع عظم هذه الارقام فقد قلت نسبة الصادرات الزراعية الى غيرها من الصادرات الاميركية سنة ١٩٠٦ عما قبلها . فقد بلغت نسبتها الى سائر الصادرات الاميركية ٥٩,٣ في المئة سنة ١٩٠٦ وكانت ٦٣,٨ في المئة ١٩٠٤ و٦٦,٢ في المئة سنة ١٩٠٢ و٦٨,٩ في المئة سنة ١٨٩٩ و٧١,٩ في المئة سنة ١٨٩٨ وهذا يدل على تقدم الصناعة الاميركية ومناظرتها للمصنوعات الاوربية وقد زادت نسبة الصادرات من المصنوعات الاميركية الى غيرها من الصادرات الاميركية فبلغت ٣٢,٨ في المئة سنة ١٩٠٦ وكانت ٢٧,٢ في المئة سنة ١٩٠٣ و٢٢,٥ في المئة سنة ١٨٩٨ و١٦,٥ في المئة سنة ١٨٩٠

النقب عن آثار فلسطين

عقدت جمعية النقب عن آثار فلسطين جلستها السنوية في اواسط الشهر الماضي بلندن فخطب المستر ستوارت مكالستر مدير النقب خطبة طويلة في الآثار التي اكتشفت في فلسطين حديثاً بادارتهِ . قال وفي جملة ما اكتشف في جزر ابواب مدينة وآثار هيكل لا يبعد ان تميط النقاب عن موت شمشون . ومنازل تاريخها سنة ١٤٥٠ قبل المسيح وكهوف كبيرة فيها ١٥ غرفة يختلف تاريخها بين ٣٠٠٠ و ٢٠٠ سنة قبل المسيح ووجدت في احداها آثار ثمينة من آثار الدول المصرية الوسطى . واكتشف صهريج قديم سعتهُ نحو اربعة ملايين جالون وتمثال من البرونز للالاهة عشتاروث وحصن سمعان المكابي

بلورات رخيصة

اغلى ما في النظارات الفلكية الكبيرة بلوراتها فانهُ اذا كان قطر البلورة ٢٥ سنتيمترًا بلغ ثمنها ٣٥٠ جنيهاً . وقد صنع بعض المجريين الآن بلورات من الزجاج الرقيق وملأُوها سائلاً دليل انكسارهِ مثل دليل الزجاج فجاءت رخيصة الثمن جدًّا لا يبلغ ثمن البلورة التي قطرها ٢٥ سنتيمترًا سوى سبعة جنيهات . والسائل الذي في البلورة لا يتبخر ولا يتمدَّد بالحرارة اكثر من تمدد الزجاج ما دامت الحرارة بين ١٥ درجة و٦٠ درجة س وهي مثل بلورات الزجاج المصمتة او اجود للآلات البصرية فلكية كانت او غير فلكية

ثوران يزوف

فصّل الاستاذ جيسب دي لورنزو الايطالي ثوران بركان يزوف الاخير في رسالة بعثها الى الجمعية الجيولوجية الانكليزيَّة فقال ان الثوران بلغ اشدَّهُ ليلة الثامن من ابريل الماضي فقذف الجبل رمادًا وحممًا وحجارة الى علو ٣٠٠٠ قدم . وهبت اذ ذاك ريح جنوبية غربية فحملت الرماد عبر بحر الادرياتيك الى الجبل الاسود . وفي التاسع والعاشر من ابريل تغيرت الريح فصارت شمالية شرقية ثم انخسفت فوهة البركان الكبرى فقذف بخارًا ورمادًا الى علو ٢٦٠٠٠ قدم فبلغا سواحل اسبانيا . وفي الحادي عشر منهُ قذفا شمالاً فبلغا باريس فاستولى عليها ضباب اصفر جافٌّ ففحصهُ الاستاذ مونييه الفرنسوي فوجدهُ محتويًا على رماد مثل الرماد الذي قذفهُ يزوف سنة ١٨٢٢ ولا تزال منهُ عينات في المتحف الجيولوجي بباريس

علاج السرطان

وجد الاستاذ اهرلخ ان من الاورام لسرطانية ما يمكن نقلهُ بالتلقيح من فارة لى اخرى فتعدى بهِ وينمو فيها . ومنها ا اذا نقل من فارة الى اخرى لا تعدى بهِ ولا ينمو فيها ومع ذلك يؤَثر فيها تأْثيرًا واقيًا فتصير اذا لُقحت بالاورام السرطانية التي تعدي غيرها لا تعدى هي بها . اي ان الاورام السرطانية التي تظهر في الفيران على نوعين نوع ينتقل بالتلقيح من فارة الى اخرى فينمو في الثانية كما نما في الاولى ونوع لا ينتقل بالتلقيح ولكنهُ يؤَثر في الفارة الملقحة بهِ تأْثيرًا يقيها من السرطان . ولهذا الاكتشاف اهمية عظيمة جدًّا لانهُ يرجى ان يرشد الى اكتشاف طريقة لوقاية الانسان من السرطان

سكان اليابان

أُحصي سكان اليابان في العام الماضي فبلغوا ٤٧٨١٢١٣٨ وسكان جزيرة فرموسا التابعة لليابان فبلغ عددهم ٣٠٥٩٢٣٥ فجملة رعايا اليابان ٥٠٨٧١٣٧٣ اي نحو ٥١ مليونًا فهي مثل اكبر الدول الاوربيَّة في عدد السكان وبلادها جزائر الكبيرة منها مئة جزيرة والصغيرة نحو خمس مئة. ومساحتها كلها كبيرة وصغيرة ١٦١ الف ميل مربع فعدد السكان في الميل المربع اكثر من ٣٠٠ نفس وعدد الذكور فيها اكثر من عدد الاناث بنحو خمس مئة الف نفس

المعلم اسعد الشدودي

نعي الينا من بيروت استاذنا الشيخ الجليل المعلم اسعد الشدودي وسنأْتي على ترجمتهِ في الجزء التالي

فهرس الجزء السابع من المجلد الحادي والثلاثين

٥٣٧ خروج بني اسرائيل وعددهم
٥٤٢ سبب البراكين
٥٤٥ انتقاد فتاة مصر . للاستاذ جبر ضومط
٥٥٤ رابطة السلام . خطبة للمستر اندرو كارنجي
٥٦٤ بعض القبريَّات المصرية العربية
٥٦٨ معركة بلاكلافا
٥٧١ وراثة الذاكرة
٥٧٥ الخرافات وشيوعها
٥٧٨ احوال القطر المالية
٥٨٢ امكنة الزلازل وازمنتها
٥٨٥ مفاخر البطالسة (مصوَّرة)

٥٩٥ باب الصناعة * شيوع السمنت . الزابون . الوقوف ام الجلوس . حفظ اللحم من الفساد
٥٩٧ باب الزراعة * مدارس الزراعة للبنات . حفظ الاثمار . الاسفنج النباتي
٦٠٠ باب تدبير المنزل * النساء والزواج . دلالة السحنة . دلالة الهذيان . دلالة الألم
دلالة النوم . عيادة المريض . حفظ الصوف والفراء من العث . حفظ جلود الحيوانات
٦٠٤ باب التقريظ والانتقاد * البحث في سيناء . ابو سمرا غانم . الثروة العقارية في القطر المصري
المذهب الاجتماعي في التشريع الجنائي . الاقلام
٦١١ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٢ نبذة
رواية امير لبنان ملحقة بالمقتطف .